متفرقات

(الإخراج الثاني)

ماجد علي القنية

مقدمة الإخراج الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد،

فهذا الكتاب يحتوي مواضيع متفرقة، وآمل أن يجد فيه القارئ الكريم ما يفيد. وقد قسمت الكتاب إلى جزئين، الأول يحتوي مقالات كنت قد نشرت أصولها على موقع (الإسلام اليوم)، وهنا أود أن أقدم الشكر الجزيل على تكرم القائمين على قسم التحرير بالموقع بنشر مقالاتي، وبما أن محاولة نشر تلك المقالات كانت أول محاولة لي لنشر ما أكتب، فقد كان تكرمهم بقبول نشر تلك المقالات جميعها وعدم رفض أي منها سببا كبيرا في ازدياد وترسخ ثقتي بما أكتب، ولذلك فأنا ممتن لهم ما حييت. والجزء الثاني يحتوي شذرات متنوعة، بعضها جملة واحدة، وبعضها أكثر من جملة، وبعضها أكثر من مقطع (فقرة) ولكنها لم تكبر بعد لتكون بحجم مقالة. أغلب هذه الشذرات كانت في الأصل تغريدات كنت قد غردت بها على حسابي في تويتر.

كل ما في هذا الكتاب فهو كلامي إلا ما عزوته إلى قائله.

والحمد لله رب العالمين،

ماجد علي القنية

ذو الحجة، 1435 هـ

مقدمة الإخراج الثاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد،

فهذا هو الإخراج الثاني للكتاب، وآمل أن يجد فيه القارئ الكريم ما يفيد. ففي هذا الإخراج الثاني قمت بالآتي:

1- إجراء تغيير في تسمية قسمي الكتاب، فبدلا من (الجزء الأول: مقالات) أصبح (القسم الأول: مقالات) وبدلا من (الجزء الثاني: شذرات) أصبح (القسم الثاني: شذرات).

2- إجراء تعديلات ما بين كبيرة إلى طفيفة في صلب المقالات.

3- إجراء تعديلات ما بين كبيرة إلى طفيفة في صلب الكثير من الشذرات.

4- إضافة بعض الشذرات الجديدة.

والحمد لله رب العالمين،

ماجد علي القنية

جمادى الأولى، 1436

القسم الأول:

مقالات

المقالة الأولى

أثر ممارسة المرء للكتابة على ثقافته وفكره

هناك مسألة تشغلني ولا أذكر أنني صادفت خلال مطالعاتي أحدا تطرق لها، وهي هل الكتابة مفيدة لثقافة وفكر الكاتب نفسه أم أنها مفيدة للقارئ فقط؟ وإذا كان الجواب: بل هي مفيدة لثقافة وفكر الكاتب نفسه، فما هي هذه الفائدة؟

بالنسبة لثقافة الشخص فإن لم تخني الذاكرة قد ذكر الصديق الدكتور خالد الراجحي في معرض جواب لسؤال سألته إياه أن ممارسة الشخص القارئ للكتابة تغير من نمط قراءته.

وأنا أرى أنها تغير في قراءته من جهتين، من جهة ماهية المقروء ومن جهة طريقة أو آلية القراءة. أما عن جهة ماهية المقروء، فأقول ابتداء أن الشخص القارئ غالبا ما تتدرج اهتماماته وأولوياته الثقافية، فهناك مواضيع تهمه ويحبها كثيرا فيقرأ فيها كثيرا، وهناك مواضيع أخرى تهمه بدرجة أقل فيقرأ فيها بدرجة أقل، وهناك مواضيع أخرى خارج دائرة اهتماماته فلا يقرأ فيها شيئا. فإذا ما قرر عند مرحلة معينة في حياته أن يمارس الكتابة فما الذي سيتغير في ماهية ما يقرأه؟ أظن أن هناك شيئين في ماهية ما يقرأه معرضين للتغير، الأول هو كمية ومقدار ما يقرأه بشكل عام وهذا غالبا سيقل نتيجة ممارسته للكتابة، فالكتابة تأخذ من المرء وقتا بلا شك، وإذا كان المرء كثير الكتابة أخذ ذلك من وقته الكثير، وكذلك إذا كان المرء قليل الكتابة ولكنه يكتب بتفكر كثير فإن ذلك سيأخذ من وقته الكثير، وهذا طبعا سيجعل الوقت المتاح له للقراءة أقل كثيرا من الوقت الذي كان متاحا له أيام كان لا يمارس الكتابة.

الشيء الثاني المعرض للتغير في ماهية ما يقرأه هو أولوياته في القراءة، وذلك أن ممارسة الشخص للكتابة غالبا ما تجعله يحتاج أن يقرأ في المواضيع التي يكتب فيها. فإذا كانت المواضيع التي يكتب فيها كثيرا هي نفس المواضيع التي كان يقرأ فيها كثيرا قبل ممارسته للكتابة فإن ممارسته للكتابة ستجعله يستمر في إعطاء هذه المواضيع نفس الأولوية التي كانت لها قبل ممارسته للكتابة، وهذا يعني أن ممارسته للكتابة لن تغير كثيرا من أولوياته في المواضيع التي يقرأها. ولكن هناك حالات كثيرة لا تكون فيها المواضيع التي يكتب فيها الشخص متطابقة من حيث الأولوية مع المواضيع التي كان يقرأ فيها قبل ممارسته للكتابة، فتؤدي به ممارسته للكتابة إلى أن يعطي مواضيعا معينة أولوية في القراءة أكبر من الأولوية التي كان يعطيها هذه المواضيع قبل ممارسة الكتابة، وهذا يعني أن ممارسته للكتابة قد غيرت من أولوياته في ماهية ما يقرأ.

إذن ممارسة الشخص القارئ للكتابة تؤدي إلى أن يقل بشكل عام مقدار وكمية ما يقرأه، وهذا يعني أن مقدار وكمية الثقافة التي سيستقيها من قراءته ستقل تبعا، وهذا يعتبر ضررا حصل لثقافته نتيجة ممارسته للكتابة! وأيضا فإن ممارسة الشخص القارئ للكتابة قد وقد لا تؤدي إلى تغير في أولوياته في ماهية المواضيع التي يقرأها (اعتمادا على ماهية المواضيع التي يكتب فيها كما ذكرنا سابقا)، وفي الحالات التي تؤدي فيها ممارسته للكتابة إلى تغير في أولوياته في ماهية المواضيع التي يقرأها فإنه لا يبدو جليا أن هذا التغير في الأولويات مفيد لثقافته.

ولكن كلامنا هذا كله هو فقط في الأثر الذي ستحدثه ممارسة القارئ للكتابة في قراءته من جهة واحدة، وهي جهة ماهية المقروء. أما عن الأثر الذي ستحدثه ممارسته للكتابة في قراءته من الجهة الثانية التي ذكرناها سابقا، وهي جهة طريقة أو آلية القراءة فأقول أن ممارسته للكتابة ستجعله أكثر حضورا ذهنيا وهو يقرأ، على الأقل وهو يقرأ في المواضيع التي يكتب فيها، لأنه سيتطرق في كتابته لما قرأه وسيناقشه، فيحتاج أن يكون متأكدا من أن المعلومة التي سيتطرق لها هي كما هي في المصدر بلا خطأ في دقة المعلومة، ويحتاج أيضا أن يكون متأكدا من أن الكلام الذي قرأه لكاتب ما والذي سيتطرق له وسيناقشه في كتابته قد فهمه جيدا وأنه لم

يفهمه فهما خاطئا أو ناقصا. وهذا يعني أن ثقافته التي سيستقيها من قراءته ستكون تبعا أشد رسوخا ودقة وصحة، وهذا يعتبر فائدة حصلت لثقافته نتيجة ممارسته للكتابة.

إذن ممارسة الشخص القارئ للكتابة تؤدي إلى تغير في قراءته من جهتين، من جهة ماهية ما يقرأه، ولكن التغير من هذه الجهة لا يبدو جليا أنه مفيد لثقافته بل قد يكون أحيانا مضرا لثقافته، ومن جهة طريقة أو آلية القراءة، والتغير من هذه الجهة يبدو جليا أنه مفيد لثقافته. إذن لا يبدو واضحا إن كانت ممارسة الشخص القارئ للكتابة سيكون لها في المحصلة النهائية أثر إيجابي على ثقافته، وإن كنت أميل إلى ذلك.

وكلامنا السابق كله هو عن أثر ممارسة الشخص القارئ للكتابة على ثقافته، أما عن أثر ممارسته للكتابة على فكره فهو ما سأتكلم عنه الآن.

دعني في البداية أسأل هذا السؤال: عندما يمسك الكاتب أداة الكتابة وقبل أن يشرع في الكتابة، هل الموضوع الذي يريد أن يكتبه يكون لحظتها متكونا جاهزا في عقله بحيث تكون وظيفة الكتابة هي فقط نقل ذلك الموضوع إلى الورق بالشكل الذي هو عليه في عقله؟ أم أن الموضوع يتكون وهو يكتب؟ أظن أن الذي سيكون موجودا في عقله عن الموضوع قبل أن يشرع في الكتابة هو بعض الأفكار وبعض المعلومات، ولكن هذه الأفكار والمعلومات ستكون متباعدة ومتناثرة في عقله وكذلك لن تكون مرتبة ومرتبطة مع بعضها جيدا. ثم عندما يشرع في الكتابة سيحصل شيئين في نفس الوقت، الأول هو أنه ستبدأ هذه الأفكار والمعلومات التي في عقله تتجمع وتترتب وترتبط مع بعضها جيدا، والثاني هو أنه ستتولد سلسلة من الأفكار الجديدة لم تكن في عقله قبل أن يشرع في الكتابة، فكرة جديدة تتولد منها فكرة ثانية وهذه بدورها تتولد منها فكرة ثالثة وهكذا.

وهنا نسأل، لو أخذنا موضوعا معينا لكاتب ما، هل لو كنا أخذنا أداة الكتابة من يده قبل أن يشرع في الكتابة وقلنا له حاول أن تكون الموضوع في عقلك بدون كتابة، وخذ وقتك في ذلك، ساعة أو ساعتين، يوما أو يومين، فهل كان سيستطيع تكوين الموضوع في عقله بدون كتابة كما كونه وهو يكتب؟ أرجح كثيرا أنه لن يستطيع ذلك، فلن يستطيع أن يجمع الأفكار والمعلومات المتباعدة والمتناثرة في عقله وكذلك لن يستطيع أن يرتبها ويربط بينها جيدا، وكذلك لن يستطيع أن يولد سلسلة من الأفكار الجديدة، فلن يستطيع ذلك إلا بالكتابة. إذن الكتابة ستُنضج وستُمحص وستُنمي كثيرا فكر الكاتب عن الموضوع، وهذا يعني أن الكتابة مفيدة جدا لفكر من يكتب.

وكنت قد شبهت فائدة الكتابة لفكر الكاتب بفائدة الدعامة للنباتات المتسلقة، في أن الدعامة تهدي النبات المتسلق حولها وتوصله بعيدا عن مكان نشوئه ولولاها لما اهتدى النبات ولما وصل بعيدا.

إذن ملخص ما قلناه في هذه المقالة هو أنه بالنسبة لثقافة الشخص فإن ممارسته للكتابة تميل إلى أن تكون مفيدة لثقافته، وبالنسبة لفكره فإن ممارسته للكتابة مفيدة جدا لفكره.

وهنا مسألة استطرادية، وهي أنني في هذه المقالة قد فرقت بين ثقافة المرء وبين فكره، وقد يرى البعض أنه لا فرق بين الفكر والثقافة. فأقول أن هذين المصطلحين قد يكونان بنفس المعنى وقد يختلفان، فإذا ذكرهما كاتب في جملة واحدة أو مقالة واحدة، فهذا يعني أنه يفرق بينهما ويقصد بهما معنيين مختلفين، اختلافا كبيرا أو صغيرا. ويُعرف ما هو الفرق بينهما من سياق الكلام. ففي هذه المقالة فرقت بين ثقافة المرء وبين فكره، ويلوح من سياق الكلام في هذه المقالة ما هو الفرق الذي جعلته بينهما. فيلوح أنني قصدت بثقافة المرء عن موضوع ما هو ما يدخل عبر بوابة عقله من معلومات ومن أفكار الآخرين وآرائهم عن ذلك الموضوع. أما فكر المرء عن ذلك الموضوع فيلوح أنني قصدت به الصورة التي تتكون وتتكامل في عقله عن ذلك الموضوع، والتي تتكون وتتكامل نتيجة لشيئين، الأول هو قيامه بالربط فيما بين تلك المعلومات والأفكار والآراء التي عبرت بوابة عقله، والثاني هو قيامه نتيجة ذلك الربط بتوليد أفكار جديدة عن ذلك الموضوع، فكرة تتولد عنها فكرة ثانية تتولد عنها فكرة ثالثة، وهكذا.

وهنا أستطرد استطرادا آخر فأقول أن الثقافة والفكر الذين قصدتهما في هذه المقالة، بالرغم من كونهما مختلفين، إلا أنهما مترابطين ومتأثرين (أي يؤثر أحدهما في الآخر). أما تأثير الثقافة في الفكر فواضح، فالفكر يعتمد اعتمادا كبيرا على الثقافة، فالصورة التي تتكون وتتكامل لدى المرء عن موضوع ما (أي فكره) تعتمد اعتمادا كبيرا على الأفكار والآراء والمعلومات عن الموضوع التي عبرت بوابة عقله (أي ثقافته). أما تأثير الفكر في الثقافة، فهو أن الفراغات أو الجوانب التي لم تكتمل في الصورة التي في عقل المرء عن الموضوع (أي التي لم تكتمل في فكره عن الموضوع) يحاول إكمالها بشيئين، الأول التفكير أكثر (أي توليد أفكار جديدة) في تلك الجوانب التي لم تكتمل في الصورة التي في عقله عن الموضوع، والثاني هو محاولة الاطلاع على مزيد من المعلومات ومن أفكار الآخرين وآراءهم (أي مزيد من الثقافة) عن تلك الجوانب التي لم تكتمل في الصورة التي في عقله عن الموضوع.

نعود الآن من هذين الاستطرادين إلى موضوع المقالة، فأقول: قد يقال: ولكن ما الفائدة التي سيجنيها الكتاب أو القراء إذا عرفوا أن الكتابة مفيدة لثقافة وفكر الكاتب نفسه وعرفوا ما هي هذه الفائدة؟ فأقول أن المعرفة قد تطلب لذاتها وحتى لو لم يكن لها فائدة مباشرة، لأن فائدتها قد تظهر في وقت لاحق، فكم من معلومة قد علمت ولم يظهر لها فائدة حين علمت ولكن فائدتها ظهرت بعد ذلك بزمن. هذا لو لم يكن هناك فائدة مباشرة لمعرفتنا هنا، ولكن هناك فائدة مباشرة لمعرفتنا أن ممارسة الكتابة مفيدة لثقافة وفكر من يكتب، وهي أنها ستساعد على إجابة سؤال انقدح في ذهني، وأظن أنه سؤال مهم، وهو: هل ننصح كل شخص يحب القراءة بالكتابة (وليس بالضرورة أن ينشر ما يكتبه) كما أننا ننصح كل شخص عازف عن القراءة بالقراءة؟

فأنا كثيرا ما أرى نصحا للعازفين عن القراءة بالقراءة، وهؤلاء بلا شك لا ينصحون بالكتابة قبل أن ينصحوا بما هو أولى من الكتابة وما هو شرط للكتابة، أي القراءة، ولكن الناس الذين هم ليسوا عازفين عن القراءة بل يحبونها، هؤلاء القارئين قلما رأيت نصحا لهم بالكتابة. فأصبحت أتساءل لماذا نصح القارئين بالكتابة قليل أو منعدم؟ وظهر لي احتمالين، الأول هو أن نصح القارئين بالكتابة قليل أو منعدم لأنها غير مفيدة لثقافة وفكر من يكتب وفائدتها مقتصرة على القارئ، فالكتاب يكتبون ليستفيد الناس مما يكتبون وليس لأن كتابتهم مفيدة لثقافتهم وفكرهم هم أنفسهم (أعني الكتاب)، وبالتالي إذا كان الشخص لن ينشر للناس لأن مستوى كتابته لا يصل لمستوى النشر، أي إذا لم يكن الشخص كاتبا مقتدرا، فإنه ليس هناك معنى لنصحه بممارسة الكتابة، فهو لن يستفيد من هذه الكتابة لأنه بناء على هذا الاحتمال الأول فإن الكتابة غير مفيدة لثقافة وفكر من يكتب.

الاحتمال الثاني هو أن نصح القارئين بالكتابة قليل أو منعدم هو ليس بسبب أن الكتابة غير مفيدة لثقافة وفكر من يكتب، بل هي مفيدة لثقافته وفكره، ولكن هو بسبب أن الكتابة موهبة لا يمتلكها إلا القلة من الناس، وبالتالي فإن من لا يمتلك موهبة الكتابة ليس هناك معنى لنصحه بالكتابة، لأنه لن يستطيعها، مع أنه لو كان يستطيعها فإنها ستكون مفيدة لثقافته وفكره.

ولذلك أظن أن إجابة السؤال الرئيسي (هل ننصح كل شخص قارئ بالكتابة (وليس بالضرورة أن ينشر ما يكتبه) كما أننا ننصح كل شخص عازف عن القراءة بالقراءة؟) تعتمد على إجابة السؤالين التاليين: الأول: هل ممارسة الكتابة مفيدة لثقافة وفكر من يكتب؟ والثاني: هل كل الناس يستطيعون ممارسة الكتابة أم أنها موهبة لا يمتلكها إلا القلة من الناس؟

أما السؤال الأول فقد أجبنا عليه بهذه المقالة، والتي يتضح منها أن الجواب هو نعم، فممارسة الكتابة تميل إلى أن تكون مفيدة لثقافة من يكتب وهي مفيدة جدا لفكره. أما عن السؤال الثاني، فإن لم تخني الذاكرة فقد ذكر الصديق الدكتور خالد الراجحي في معرض جوابه عندما سألته هذا السؤال أن الكتابة وإن كانت الموهبة تلعب فيها دورا كبيرا فتميز كاتبا عن آخر، ولكن الكتابة ليست كلها موهبة بل نصيب منها هو مهارة يستطيع أن يتعلمها ويكتسبها أي شخص حتى لو أنه لا يمتلك الموهبة.

وأنا رأيي في هذه المسألة قريب من رأي الدكتور، فأظن أن أي شخص يحب القراءة (حتى لو أنه لا يمتلك موهبة الكتابة) إذا قرر عند مرحلة في حياته أن يمارس الكتابة ثم استمر على ذلك أشهرا فإن قدرته على الكتابة ستتحسن كثيرا.

إذن إجابة على السؤال الرئيسي أقول: نعم، فنصيحتي لكل شخص قارئ هي: اكتب، وحتى لو لم ترد أن تنشر ما تكتبه، فاكتب ولو لنفسك، لأن الكتابة مفيدة لثقافتك وفكرك، خصوصا لفكرك.

أما الشخص العازف عن القراءة، فقد ذكرنا أنه لا يُنصح بالكتابة قبل أن ينصح بالقراءة، فالقراءة أولى والكتابة تعتمد عليها. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه بالنسبة إلى هذا الشخص هو: هل ينصح بأن يقال له ابدأ بالقراءة ولكن لا تبدأ بالكتابة حتى يتجمع لديك من قراءتك رصيد معرفي جيد (لنقل مثلا بعد سنة أو سنتين من بدء القراءة) وعند ذلك ابدأ بالكتابة؟ أم ينصح فيقال له ابدأ بالقراءة والكتابة في نفس الوقت، فلا تؤجل الكتابة حتى يتجمع لديك رصيد معرفي جيد؟ الذي أراه هو أن ينصح النصيحة الثانية.

المقالة الثانية

ضروب ومعالم التفكير (1)

لا شك أن التفكير هو من أعظم هبات الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهذه الهبة تستحق أن تُدْرس وتُتَأمل. في هذه المقالة أسجل نتائج تأملاتي وتفكيري في هذه الهبة آملا أن يكون في ذلك فائدة للقراء والمفكرين.

وأقول استطرادا أن كلمة (التفكير) التي في عنوان المقالة يصلح أن تستبدل بكلمة (الفكر)، وذلك لأن أحد معاني كلمة الفكر هو أنه التفكير. مثلا شخص واجهته مشكلة معينة في أحد الأيام، فيسأله صديق له في اليوم التالي: ماذا فعلت في مشكلتك البارحة؟ هل وجدت لها حلا؟ فيجيبه: نعم وجدت لها حلا، فبعد أن أعملت فيها الفكر وجدت أن حلها هو كذا وكذا. ففي هذا المثال قوله (بعد أن أعملت فيها الفكر) معناه (بعد أن أعملت فيها التفكير)، فالفكر في هذا المثال هو التفكير، لا أكثر ولا أقل، وهذا المعنى للفكر هو الذي أقصده في هذه المقالة. فإن قيل: ولماذا فضلت استخدام كلمة التفكير على كلمة الفكر في عنوان المقالة؟ فأقول لأن استخدام كلمة التفكير لهذا المعنى هو الشائع.

كلمة الفكر يبدو أن لها معنى آخر له علاقة بهذا المعنى لكن ليس هو بالضبط، وإذا وردت كلمة الفكر في مكان ما بذلك المعنى الآخر فإنه لا يصلح استبدالها بكلمة التفكير. وهذا المعنى الآخر هو أن الفكر هو ذلك العمل أو البناء العقلي المتماسك الذي ينتج من الربط من قبل المفكر أو المفكرين بين نتائج تفكيره أو تفكيرهم (أي أفكاره أو أفكارهم) المتراكمة في مجال معين أو موضوع معين. وهذا هو المعنى الذي نقصده بكلمة الفكر عندما نقول مثلا: الفكر السياسي، أو الفكر الاقتصادي، وهكذا. وهنا لا يصلح أن نضع كلمة التفكير مكان كلمة الفكر، فلا يصلح أن نقول مثلا: التفكير الاقتصادي للمفكر الفلاني إذا كنا نقصد ذلك العمل أو البناء العقلي المتماسك الذي نتج من الربط من قبل ذلك المفكر بين نتائج تفكيره (أي أفكاره) المتراكمة في المجال الاقتصادي، لأن ذلك ليس من معاني كلمة التفكير.

ولتوضيح المسألة أكثر نقول أن المفكر في عمله الفكري يبتدئ بتفكير (وهنا كلمة (تفكير) يصلح أن تستبدل بكلمة (فكر)) ينتج عنه فكرة، ثم يستمر في تفكيره (فِكْرِه) فتنتج فكرة ثانية، وهكذا حتى تتجمع الأفكار وهو يقوم خلال ذلك بالربط بينها، حتى يتكون في النهاية عمل أو بناء متماسك، أي حتى يتكون في النهاية فكر (وهنا كلمة (فكر) لا يصلح أن تستبدل بكلمة (تفكير)).

وهنا أذكر تشبيها قد يكون مناسبا لموضوعنا، فمثلا البناية المعمارية (مثلا مبنى وزاريا أو أستادا رياضيا) هي مؤلفة من وحدات بناء تم تجميعها والربط بينها، وكل وحدة بناء هي مصنعة من مادة خام. ووجه التشبيه هنا هو أن التفكير والفكرة التي تنتج عنه فيهما شبه بالمادة الخام ووحدة البناء التي تصنع منها، والعمل أو البناء العقلي المتماسك الذي ينتج من الربط بين الأفكار فيه شبه بالبناية المعمارية التي تنتج من الربط بين وحدات البناء. وكما أننا لا يصح أن نسمي البناية المعمارية المادة الخام، فإننا كذلك لا يصح أن نسمي الفكر هنا التفكير.

وقد بدا لي أننا لو اشتققنا كلمة جديدة لهذا المعنى الثاني لكلمة الفكر (والذي ذكرنا أنه لا يصلح أن نستخدم له كلمة التفكير)، لو اشتققنا له من العربية كلمة جديدة فإن ذلك سيكون له فائدتين. الأولى هو أنه سيزيل اللبس بين كلمتي الفكر والتفكير، وسيزيل الاضطراب الواسع الذي حصل في تعريف مصطلح الفكر (فقد اختلف كثيرا في تعريفه). ومن هذه الفائدة الأولى ستنشأ الفائدة الثانية، ألا وهي أنه فيما يبدو لي أنه دائما عندما تُجترح كلمة جديدة لمعنى معين لا يشاركه في هذه الكلمة معنى اخر، فإن ذلك يؤدي إلى تقدم كبير في دراسة وفهم هذا المعنى. فهنا لو اجترحنا كلمة جديدة لهذا المعنى لكلمة الفكر فإن ذلك قد يؤدي إلى تقدم كبير في دراسة وفهم هذا المعنى.

فمثلا لو اجترحنا لهذا المعنى كلمة فَكَار (وهو مجرد اقتراح، ولا أعلم إن كان اشتقاقا مقبولا أم لا، فإن كان اشتقاقا غير مقبول، فأتمنى أن يسعفنا أهل اللغة بالاشتقاق الصحيح). فبناء على هذا الاقتراح نقول أن الفكار هو ذلك العمل أو البناء العقلي المتماسك الذي ينتج من الربط من قبل المفكر أو المفكرين بين نتائج تفكيره أو تفكيرهم (أي أفكاره أو أفكارهم) المتراكمة في مجال معين أو موضوع معين. فنقول مثلا: الفكار الاقتصادي أو الفكار السياسي، وهكذا، قاصدين بذلك الفكر الاقتصادي أو الفكر السياسي، وهكذا.

على العموم ما سبق من فقرات كانت استطرادا، فنعود الآن إلى موضوع مقالتنا وهو التفكير.

ضروب التفكير

وقد وجدت أن التفكير أكثر من ضرب، وقد ظهر لي حتى الآن أربعة ضروب، وأتوقع أن تكون أكثر من ذلك. وسأدلف الآن إلى ذكر هذه الضروب مع الإكثار من ذكر الأمثلة التي توضحها، والأمثلة التي سأذكرها هي أمثلة حقيقية، وهي عمليات تفكير سبق أن قمت بها ضمن طروح فكرية لي كنت قد طرحتها في الماضي.

الضرب الأول يكون التفكير فيه عبارة عن مجرد دقة ملاحظة لشيء به بعض الخفاء. مثلا شخص لاحظ أنه في أغلب النقاشات والجدالات التي شارك فيها فإنه لا يسلم المتناقشون والمتجادلون من الوقوع في القياس الخاطئ. أو شخص لاحظ أنه من المفارقات أن التكنولوجيا أتعبت الفرد من حيث أراحته! فلأنها يسرت أعماله أصبح مطالبا بالقيام بالكثير من الأعمال في الوقت القليل، فتزايدت عليه الضغوط.

الضرب الثاني يكون التفكير فيه عبارة عن قياس. مثلا شخص يدعو إلى ترجمة العلوم إلى العربية، وتوصل إلى أنه لا حاجة خلال الترجمة لترجمة المسميات العلمية، مثلا لا حاجة لترجمة كلمة (إلكترون)، وإنما الذي ينبغي أن يترجم كله فهو الكلام الشارح. وهو توصل إلى أنه لا حاجة لترجمة المسميات العلمية قياسا على أن اللغة العربية في عصر الأمة الذهبي بل وأيضا في فترة الجاهلية قد استعارت مسميات أعجمية ولم تترجمها ولم يكن ذلك ضارا بالعربية ولا عائقا عن ازدهار العلوم بها. وقياسا أيضا على أن الغرب في بداية نهضتهم قد نقلوا الكثير من المسميات العلمية من العربية إلى لغاتهم بدون أن يترجموها ولم يكن ذلك ضارا بلغاتهم ولا عائقا عن ازدهار العلوم بها.

الضرب الثالث يكون التفكير فيه عبارة عن محاولة الشخص توقع ما إذا كانت حقيقة تخصه هي عامة تنطبق على أشخاص آخرين غيره، وإن كان كذلك فما مدى تعميمها، أي هل الأشخاص الآخرون الذين تنطبق عليهم هذه الحقيقة كثيرون أم قليلون. مثلا شخص إذا رأى شخصا آخر يلبس نظارة شمسية فإنه يحس بحاجز نفسي بينه وبين ذلك الشخص الآخر (طبعا لا بس النظارة الشمسية لا يقصد أن يضع هذا الحاجز ولكن ذلك الشخص يحس بوجود الحاجز بسبب النظارة وليس بسبب شخصية الشخص اللابس لها). فهذه حقيقة حسية يحسها ذلك الشخص في نفسه. فقام ذلك الشخص بعملية تفكير عبارة عن محاولة توقع ما إذا كان ليس هو فقط ولكن أيضا أناس غيره يحسون بنفس إحساسه عندما يرون شخصا يلبس نظارة شمسية، ثم محاولة توقع إن كان من يحس بنفس إحساسه من الناس كثيرون أم قليلون.

ومثال آخر على هذا الضرب من التفكير، أستاذ جامعي وجد أن سببا لوقوعه في تصرفات تسلطية على الطلاب هو كثرة من يقوم بمثل تلك التصرفات من الأساتذة في الجامعات فلم يتشكك في صوابيتها. فقام بعملية تفكير عبارة

عن محاولة توقع ما إذا كان ليس هو فقط ولكن أيضا أساتذة غيره يكون هذا سببا لتسلطهم، ثم محاولة توقع إن كان هذا هو سبب لتسلط قليل فقط أم كثير من الأساتذة في الجامعات.

أما الضرب الرابع فيكون التفكير فيه عبارة عن محاولة ترجيح عامل أو عوامل على عامل أو عوامل تعاكسها في التأثير في مسألة أو قضية معينة. وبالمثال يتضح المقال، شخص نظر إلى مدينتين متجاورتين ولكن يفصل بينهما حد من هذه الحدود التي قسمت الدول في العصر الحديث، فكل من هاتين المدينتين في دولة، فوجد أن هاتين المدينتين ليستا فقط متقاربتين جغرافيا ولكنه وجد أيضا أن أهلهما يتكلمون نفس اللغة ووجد كذلك أن عاداتهم الإجتماعية متقاربة جدا. فقام بعملية تفكير عبارة عن محاولة الترجيح بين هذه العوامل التي تجمع المدينتين وبين العامل الذي يفرقهما والذي هو أن كل منهما في دولة وما يحدثه ذلك لكل مدينة من ولاء لدولتها.

ومثال آخر على هذا الضرب من التفكير، عندنا في السعودية أغلب أساتذة وطلاب الجامعات لديهم سيارات، ومواقف سيارات الأساتذة في الجامعة عادة ما توضع قريبة من مبنى الكلية بينما مواقف سيارات الطلاب عادة ما توضع بعيدة، فقام شخص بعملية تفكير عبارة عن محاولة الترجيح بين عاملين دارا في خلده من حيث الأحقية في قرب المواقف من الكلية، عامل كون الأساتذة لهم فضل وقد اجتهدوا وأفنوا أعمارهم في العلم ولذلك فلهم حق بأن تكون مواقف سياراتهم قريبة، وعامل كون الطلاب هم المقصودون بالعملية التعليمية وأن الجامعة كلها بما فيها الأساتذة هي في خدمة الطلاب فينبغي أن توفر لهم كل السبل التي تسهل عليهم العملية التعليمية ولذلك فلهم حق بأن تكون مواقف سياراتهم قريبة.

والحقيقة أنني عندما أفكر في موضوع فكري ما فإنني في نفس الوقت أبحث عما قاله الناس في هذا الموضوع وأقرأه، ولكنني في موضوع هذه المقالة، أي ضروب ومعالم التفكير، ولسبب ليس هذا موضع بسطه، لم أبحث عما قاله الناس في هذا الموضوع إلا بعد أن قطعت شوطا في التفكير فيه، ففي مسألة ضروب التفكير فإنني وجدت أولا أن التفكير أكثر من ضرب وظهر لي ضرب بعد آخر، حتى وصَلَت إلى أربعة ضروب، وعندها ذهبت لأبحث عما قاله الناس في هذه المسألة.

فوجدت أن الموسوعة البريطانية قد تكلمت عن هذه المسألة في مدخل أسمته (ضروب التفكير)، فقالت في أول جملتين في هذا المدخل (حسب ترجمتي) " قد تنبه الفلاسفة وعلماء النفس منذ وقت طويل إلى أن التفكير ليس شيئا واحدا. فهناك ضروب مختلفة وعديدة من التفكير". وقد وجدت أن هذا المدخل في الموسوعة البريطانية قد ذكر بوضوح أن القياس والتعميم هما من ضروب التفكير، والقياس هو الضرب الثاني من ضروب التفكير التي ذكرت في هذه المقالة، والتعميم يندرج تحته الضرب الثالث الذي ذكرته في هذه المقالة. أما الضربين الأول والرابع الذين ذكرتهما في هذه المقالة، فلم أجد أن مدخل الموسوعة البريطانية قد ذكر بوضوح أنهما من ضروب التفكير وإن كان المدخل قد ذكر ضروبا من التفكير بها شيء من القرب من هذين الضربين.

بالرغم من أنه يبدو من الاقتباس والمعلومات التي نقلتها عن الموسوعة البريطانية أن موضوع التفكير قد بحث كثيرا، إلا أنه لم يُشبع بحثا ولم يُتوصل فيه إلى إجابات قاطعة، فلا زال هناك مجال كبير للاجتهاد، فمثلا قد ذكر ذلك المدخل في الموسوعة أنه لا يوجد تصنيف متفق عليه لضروب التفكير. وأيضا الدكتور إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي في كتابه (أنواع التفكير) يقول مشيرا إلى تصنيفات ضروب التفكير "كما أنه لا يوجد تصنيف متفق عليه بين جميع المفكرين" وقد أحسن الدكتور عندما قال بعد ذلك "فإن تعقيد الموضوع يتيح المجال إلى الاجتهادات المختلفة". ولذلك فإن هناك مجال كبير للاجتهاد في هذا الموضوع في جميع جوانبه، سواء فيما يتعلق بطبيعة التفكير ومعالمه أو فيما يتعلق بضروب التفكير من حيث استقصائها وتجليتها وتصنيفها. ولذلك فإن اجتهادنا في مقالتنا هذه بجزئيها قد يسهم بعض الإسهام في توضيح هذا الموضوع المعقد.

ما الفائدة؟

قد يقال: ولكن ما الفائدة من بحثنا في هذه الموضوع ومعرفتنا بضروب ومعالم التفكير؟ فأقول (كما قلت في المقالة الأولى من هذا الكتاب) إن المعرفة قد تطلب لذاتها وحتى لو لم يكن لها فائدة مباشرة، لأن فائدتها قد تظهر في وقت لاحق، فكم من معلومة قد عُلمت ولم يظهر لها فائدة حين علمت ولكن فائدتها ظهرت بعد ذلك بزمن. هذا لو لم يكن هناك فائدة مباشرة لمعرفتنا بهذا الموضوع، ولكن هناك فائدة مباشرة، وهي أن معرفة ضروب التفكير قد ساعدتني على معرفة أسباب تشكك الشخص في صحة نتيجة تفكيره (أي في صحة فكرته) ومعرفة الطرق المتاحة لتقليل ذلك التشكك، وذلك أن تشكك الشخص في صحة نتيجة تفكيره هو من معالم التفكير، وقد وجدت أن كثرة التشكك أو قلته، وسبب التشكك وبالتالي الطرق المتاحة للشخص لتقليل التشكك، كل ذلك يعتمد على الضرب من التفكير الذي تشكك الشخص في صحة نتيجته. وسأتكلم عن هذه المسألة بالتفصيل إن شاء الله في الجزء الثاني من هذه المقالة.

ضروب ومعالم التفكير (2)

معالم التفكير

تشكك المرء في صحة نتيجة تفكيره

ذكرت في نهاية الجزء الأول من هذه المقالة أن تشكك المرء في صحة نتيجة تفكيره (أي في صحة فكرته) هو من معالم التفكير، وقد ذكر ذلك الدكتور عبدالكريم بكار في كتابه (تكوين المفكر). وأرى أن التشكك أشد ما يكون أول ما يتوصل المرء لنتيجة تفكيره. وقد وجدت بعد التأمل أن كثرة التشكك أو قلته، وسبب التشكك وبالتالي الطرق المتاحة للمرء لتقليل التشكك، كل ذلك يعتمد على الضرب من التفكير الذي تشكك المرء في نتيجته. فإن كان الضرب هو الأول من التي ذكرنا في الجزء الأول من المقالة، وهو الذي يكون التفكير فيه عبارة عن مجرد دقة ملاحظة لشيء به بعض الخفاء، فإنني وجدت أن التشكك في هذا الضرب أقل من التشكك في الضروب الأخرى. ويبدو لي أن سبب قلة التشكك في هذا الضرب هو بسبب أنه ليس فيه إعمال فكر كثير، فليس هناك منطلق ثم عملية تفكير محفوفة بالأخطاء ثم نتيجة، وإنما هو مجرد دقة ملاحظة.

أما إن كان الضرب هو الثاني من التي ذكرنا في الجزء الأول من المقالة، وهو الذي يكون التفكير فيه عبارة عن قياس، فإن سبب التشكك هو أن المرء يستشعر أن قياسه قد يكون خاطئا. وبرأيي فإن الطريقة المناسبة لتقليل التشكك في هذا الضرب هو أن يقوم المرء بإعادة التفكير مرارا في قياسه، فإنه إن فعل ذلك قد تظهر له أشياء تدل على أن قياسه كان خاطئا أو ربما كان خاطئا فيقوم بتصحيح قياسه بناء على ذلك أو إلغائه، أو بالعكس قد لا تظهر له مع تكرار التفكير مثل هذه الأشياء فيزداد ثقة في صحة قياسه. فلو عدنا لمثال ترجمة العلوم الذي ضربناه لهذا الضرب من التفكير، فلو أعاد ذلك الشخص التفكير مرار في قياسه فقد يظهر له أن قياسه الذي استدل به على عدم الحاجة خلال الترجمة لترجمة المسميات العلمية ربما كان خاطئا، وذلك بسبب وجود فرق بين ترجمة العلوم للعربية في هذا العصر وبين ترجمتها للعربية في عصر الأمة الذهبي بحيث أن هذا الفرق ربما يجعل قياسه خاطئا، وهذا الفرق هو أنه في عصر الأمة الذهبي كانت المسميات العلمية الأجنبية قليلة ولذلك فإن هذه الكلمات بعد نقلها للعربية بدون ترجمتها لم تكن نسبتها في العربية إلا كنقطة في بحر فلذلك لم تغير من شكل ووجه العربية ولم تطغى على الكلمات العربية الاشتقاق، أما في عصرنا هذا فإن المسميات العلمية الأجنبية كثرت جدا وستتضاعف كثيرا في المستقبل، فلو نقلنا هذه المسميات للعربية بدون ترجمتها (أقصد بدون اشتقاق مسميات عربية لها) فإنها قد تشكل نسبة معتبرة في العربية وإذا استمرينا على نفس الطريقة في المستقبل فإن هذه المسميات قد تشكل نسبة كبيرة في العربية وتغير من شكل ووجه العربية تغييرا كبيرا ومضرا. ولذلك فإن ذلك الشخص قد يتراجع عن فكرة عدم الحاجة لترجمة المسميات العلمية خلال الترجمة ويميل إلى أنه ليس فقط ينبغي أن نترجم الكلام الشارح ولكن أيضا المسميات العلمية قد نكون بحاجة إلى ترجمتها.

أما إن كان الضرب هو الثالث من التي ذكرنا في الجزء الأول من المقالة، وهو الذي يكون التفكير فيه عبارة عن محاولة المرء توقع ما إذا كانت حقيقة تخصه هي عامة تنطبق على أشخاص آخرين غيره، وإن كان كذلك فما

مدى تعميمها، فإن سبب التشكك هو أنه لا يستطيع أن يثبت صحة توقعه. فلو عدنا إلى مثال النظارة الشمسية والذي كان أحد مثالين ضربناهما لهذا الضرب، ودعنا نقول أن ذلك الشخص بعد أن قام بعملية التفكير توصل إلى توقع مفاده أنه ليس هو فقط بل كثير من الناس إذا رأوا شخصا يلبس نظارة شمسية فإنهم يحسون كما يحس هو بوجود حاجز نفسي بينهم وبين ذلك الشخص، ثم بنى على هذا التوقع نصيحة لمن يلبس النظارة الشمسية أن يقلل قدر المستطاع من لبسها لإزالة هذا الحاجز. فهنا ذلك الشخص سيتشكك في صحة هذا التوقع لأنه ببساطة لا يستطيع إثباته. وأقول استطرادا أننا لو أردنا أن نثبت هذه التوقع أو ننفيه فإن علينا أن نجري دراسة على شريحة من الناس بأن نوزع عليهم استبيانا أو نستخدم معهم غير ذلك من الطرق العلمية لنرى إن كانوا يحسون بنفس إحساس ذلك الشخص إذا رأوا شخصا يلبس نظارة شمسية أم لا، فيكون الإثبات هنا قد جاء عن طريق العلم. أمَا وأنا لم نقم بدراسة علمية تثبت هذا التوقع أو تنفيه فإن التفكير وحده لا يستطيع إثباته وسيظل ذلك الشخص متشككا في صحته.

والذي يظهر لي في هذا الضرب الثالث من التفكير هو أن إعادة المرء التفكير مرارا في نتيجة تفكيره لن تكون فعالة كثيرا في تقليل تشككه في صحتها، بخلاف الضرب الثاني. ويظهر لي أن الحالة الوحيدة التي يمكن أن تقلل بشكل كبير من تشكك المفكر في نتيجة تفكيره في هذا الضرب، هذا إذا لم تكن هناك دراسة علمية تثبت أو تنفي هذه النتيجة، هي أن تجد الفكرة بعد أن يقوم بنشرها قبولا واسعا. فمثلا لو عدنا مرة أخرى لمثال النظارة الشمسية، ودعنا نقول أن ذلك الشخص نشر فكرته على شكل تغريدة في تويتر، فإن من سيؤيد فكرته سيؤيدها لأنه يشعر مثل ذلك الشخص بوجود حاجز نفسي بينه وبين لابس النظارة الشمسية، وبالتالي لو لقيت هذه التغريدة تأييدا واسعا في تويتر فإن ذلك قد يدل على صحة توقع ذلك الشخص أنه ليس هو فقط بل كثير من الناس إذا رأوا شخصا يلبس نظارة شمسية فإنهم يحسون كما يحس هو بوجود حاجز نفسي بينهم وبين ذلك الشخص، وبالتالي ستزداد ثقة ذلك الشخص في صحة توقعه.

أما إن كان الضرب هو الرابع من التي ذكرنا في الجزء الأول من المقالة، وهو الذي يكون التفكير فيه عبارة عن محاولة ترجيح عامل أو عوامل على عامل أو عوامل تعاكسها في التأثير في مسألة أو قضية معينة، فإن هناك سببين للتشكك، الأول هو أن المرء يستشعر أن العوامل التي تؤثر في المسألة كثيرة وأنه قد يكون غفل عن عامل أو عوامل منها أقوى تأثيرا من العوامل التي دارت في خلده، والسبب الثاني للتشكك هو أنه حتى العوامل التي لم يغفل عنها والتي دارت في خلده فإنه يستشعر أنه قد لا يكون قدر قوة ودور كل واحد منها التقدير الصحيح.
وبرأيي أن أفضل الطرق لتقليل التشكك في هذا الضرب هي نفس الطريقة المستخدمة مع الضرب الثاني، أي إعادة المرء التفكير مرارا في فكرته، فإن المرء هنا لو أعاد التفكير مرارا في المسألة والعوامل التي تؤثر فيها فإنه لن يبقى على نفس درجة التشكك، فإما أنه ستظهر له جوانب جديدة تجعله يزداد ثقة في صحة النتيجة التي توصل إليها وإما أنه بالعكس قد تظهر له جوانب جديدة تجعله يرجح أن النتيجة التي توصل إليها كانت خاطئة فيقوم بتصحيحها.

وللتمثيل على سببي التشكك والطريقة المتاحة لتقليله في هذا الضرب نعود لمثال المدينتين، وهو المثال الأول الذي ضربناه لهذا الضرب. ودعنا نقول أن ذلك الشخص بعد أن قام بعملية التفكير توصل إلى نتيجة مفادها أن العوامل التي تجمع المدينتين أرجح من العامل الذي يفرقهما، ثم بنى على هذه النتيجة توقع مفاده أنه في المستقبل ستنتصر العوامل التي تجمعهما على العامل الذي يفرقهما فتزول هذه الحدود الحديثة التي بينهما فيكونان ضمن بلد واحد. فهنا قد يتشكك ذلك الشخص في هذه النتيجة للسببين الذين ذكرناهما قبل قليل. فإذا أعاد التفكير مرارا في هذه المسألة فإنه قد يتنبه إلى عامل قد غفل عنه من العوامل التي تفرق بين المدينتين كوجود اختلاف بينهما في المذهب الديني أو اختلاف في النسب أو العرق يجعل ما يفرق المدينتين أرجح مما يجمعهما، فيقوم بتصحيح النتيجة بناء على ذلك. أو قد لا يظهر له مع تكرار التفكير أنه قد غفل عن مثل هذه العوامل ولكن قد يظهر له أن العامل الذي يفرقهما والذي دار في خلده سابقا وهو أن كل منهما في دولة وما يحدثه ذلك لكل مدينة من ولاء لدولتها، قد يظهر له أن هذا العامل أقوى مما قدر، وأن هذا العامل قد اكتسب قوة بمرور الوقت

منذ نشوء الدولتين وسيكتسب قوة أكثر في المستقبل إلى درجة تجعل ما يفرق المدينتين أرجح مما يجمعهما، فيقوم بتصحيح النتيجة بناء على ذلك. وهنا سيكون تشكك ذلك الشخص في نتيجته الجديدة أقل من تشككه في نتيجته القديمة، ولكن هذا لا يعني أن التشكك قد انقطع، فقد تظهر له في المستقبل جوانب جديدة لم تدر في خلده قبل ذلك تجعله يعكس النتيجة مرة أخرى.

وكذلك لو عدنا إلى مثال مواقف السيارات، وهو المثال الثاني الذي ضربناه لهذا الضرب. ودعنا نقول أن ذلك الشخص بعد أن قام بعملية التفكير توصل إلى نتيجة مفادها أن العامل الذي يعطي الطلاب حقا في أن تكون مواقف سياراتهم قريبة من الكلية أرجح من العامل الذي يعطي الأساتذة حقا في ذلك، فيرى بالتالي أن الطلاب أحق من الأساتذة في أن تكون مواقف سياراتهم قريبة. فهنا قد يتشكك ذلك الشخص في هذه النتيجة للسببين الذين ذكرناهما سابقا. فإذا أعاد التفكير مرارا في هذه المسألة فإنه مثلا قد يظهر له عامل لم يكن قد فكر فيه قبل ذلك يعطي الأساتذة حقا في أن تكون مواقف سياراتهم قريبة، مثلا أن نسبة من الأساتذة عندهم أمراض بسبب التقدم في العمر، فمنهم من عنده تضيق في شرايين القلب ومنهم من عنده السكري ومنهم من عنده التهاب في المفاصل وهكذا، مما قد يجعل المشي مسافات بعيدة متعبا ومضرا لهم، بخلاف الطلاب فهم في عنفوان الشباب وأصحاء في الغالب فلا يتعبهم ولا يضرهم المشي. فيرى ذلك الشخص أن العاملين الذين يعطيان الأساتذة حقا في أن تكون مواقف سياراتهم قريبة، هذا العامل الذي ظهر له الآن بالإضافة إلى العامل الذي دار في خلده سابقا، أرجح من العامل الذي يعطي الطلاب حقا في أن تكون مواقف سياراتهم قريبة، بل وقد يرى ذلك الشخص أن هذا العامل الذي ظهر له الآن لصالح الأساتذة، قد يرى أنه لوحده، وحتى بدون أن يحتسب العامل الذي دار في خلده سابقا، أرجح من العامل الذي في صالح الطلاب، فيقوم بناء على ذلك بتصحيح النتيجة التي ظهر له خطأها. وهنا كما في مثال المدينتين سيكون تشكك ذلك الشخص في نتيجته الجديدة أقل من تشككه في نتيجته القديمة، بل إن تشكك الشخص في هذا المثال قد يقل أكثر كثيرا مما سيقل تشكك المفكر في مثال المدينتين، وذلك لأن الشخص في هذا المثال قد يرى أن العامل الذي ظهر له الآن في صالح الأساتذة (عامل أن نسبة منهم يعانون من أمراض) هو عامل قوي جدا يَستبعد معه أن يخطر على باله في المستقبل عامل في صالح الطلاب يغلب هذا العامل. أي نعم لا زال هناك احتمال أن يخطر على باله في المستقبل عامل في صالح الطلاب يغلب هذا العامل، ولكنه قد يحس أن هذا احتمال ضعيف. أردت أن أقول أنه في بعض الحالات في هذا الضرب فإن تكرار المرء التفكير مرارا في المسألة والعوامل التي تؤثر فيها قد يجعله يصل أخيرا إلى نتيجة يشعر بدرجة طيبة (وإن لم تكن درجة كاملة) من اليقين بصحتها.

منطلق فعملية تفكير فنتيجة

من معالم التفكير أنه غالبا ما ينطلق من منطلق ويصل إلى نتيجة، أي يكون هناك منطلق ثم عملية تفكير ثم نتيجة. يستثنى من ذلك الضرب الأول من ضروب التفكير التي ذكرنا سابقا، فذلك الضرب ليس على هذا التركيب، أي ليس فيه منطلق ونتيجة وإنما هو مجرد دقة ملاحظة. أما الضروب الأخرى فإنه يظهر فيها هذا المعلم. ودائما ما تكون ثقة الشخص في صحة المنطلق أكبر من ثقته في صحة النتيجة.

ومن البديهي أن تكون صحة المنطلق شرط لصحة النتيجة، فإذا كان المنطلق صحيحا فإن النتيجة ستكون صحيحة أو خاطئة (أود أن يلاحظ القارئ الكريم أنه ليس بالضرورة أن تكون النتيجة صحيحة إذا كان المنطلق صحيحا بل قد تكون صحيحة أو خاطئة، فإذا انطلق المرء من منطلق صحيح ولكنه قام بعملية تفكير خاطئة فإن النتيجة ستكون خاطئة). هذا إذا كان المنطلق صحيحا، أما إذا كان المنطلق خاطئا فإن النتيجة ستكون فقط خاطئة.

والمنطلق سيكون صحيحا إذا كان حقيقة (حسية أو علمية)، أو بديهة عقلية، أو مبدأ أخلاقيا، أو أحد الثوابت الشرعية. ولكن ينبغي ملاحظة أنه في بعض الحالات قد ينطلق الشخص من منطلق يظنه أحد هذه المنطلقات الصحيحة وهو في الحقيقة ليس كذلك، فمثلا قد ينطلق الشخص في بعض الحالات من منطلق يظنه حقيقة حسية

وهو في الحقيقة ليس حقيقة حسية وإنما وهم (سببه مثلا اختلال في الحواس، كما يحصل مثلا في الهلوسة التي تسببها بعض الأدوية أو بعض الأمراض)، وهذا يعني أنه قد انطلق من منطلق خاطئ وبالتالي سيقوم بعملية تفكير خاطئة وسيصل إلى نتيجة خاطئة.

وطبعا كلما ابتعد المنطلق عن هذه المنطلقات الصحيحة كلما ازدادت احتمالية أن يكون خاطئا، وهذا قد يحصل مثلا في الأعمال الفكرية، وذلك أنه في العمل الفكري قد يحصل أن ينطلق المفكر في البداية من أحد هذه المنطلقات الصحيحة فيقوم بعملية تفكير أولى فيصل إلى نتيجة أولى صحيحة أو خاطئة، ثم يقوم بعملية تفكير ثانية يكون منطلقه فيها هو هذه النتيجة الأولى فينطلق منها فيصل إلى نتيجة ثانية صحيحة أو خاطئة، ثم يقوم بعملية تفكير ثالثة يكون منطلقه فيها هو هذه النتيجة الثانية فينطلق منها فيصل إلى نتيجة ثالثة صحيحة أو خاطئة، وهكذا. فهنا من الواضح أن احتمالية صحة النتيجة الثالثة أقل من احتمالية صحة النتيجة الأولى، وذلك لأن النتيجة الأولى تعتمد صحتها فقط على صحة عملية تفكيرٍ انطلقت من منطلقٍ صحيح، أما النتيجة الثالثة فإن صحتها تعتمد على صحة عملية تفكيرٍ (عملية التفكير الثالثة) تعتمد صحتها على صحة منطلقٍ (النتيجة الثانية) تعتمد صحته على صحة عملية تفكيرٍ (عملية التفكير الثانية) تعتمد صحتها على صحة منطلقٍ (النتيجة الأولى) تعتمد صحته على صحة عملية تفكيرٍ (عملية التفكير الأولى) انطلقت من منطلقٍ صحيح!

وقد بات واضحا مما سبق في هذا الجزء الثاني من المقالة أن من معالم التفكير أن نتائج تفكير المرء كثيرا ما يتضح له أنها كانت خاطئة، فيكون عليه القيام بتصحيحها. ولكن المرء إذا كان مفكرا مشهورا فإنني أتوقع أن تصعب عليه الشهرة الاعتراف بخطأ نتيجة تفكيره وتصحيحها مرات كثيرة، ولو أنها مرة واحدة أو مرات قليلة لهان الأمر. ويبدو أن هناك أكثر من سبب يجعل من الصعب على المفكر المشهور الاعتراف مرات كثيرة بخطأ نتيجة تفكيره. وأحد هذه الأسباب هو أن الكثير من القراء لا يعلمون أن ظهور أخطاء للمفكر المشهور باستمرار في نتائج تفكيره هو من معالم وطبيعة التفكير، ولذلك فإنه يستشعر أنهم لن يتقبلوا أن يكون في نتاجه الفكري الكثير من الأخطاء. وقد رأى الدكتور عبدالكريم بكار في كتابه (تكوين المفكر) الذي أشرنا إليه سابقا، رأى أن المفكر الحق دائما ما يرى شيئا جديدا وأنه " كلما رأى شيئا جديدا وجد نفسه يتبنى بعض الأفكار الجديدة، ويتخلى عن بعض الأفكار القديمة، وهذا يشكل نوعا من الصدمة لطلابه والمعجبين بنهجه". ولذلك فإنني أدعو هؤلاء القراء الكرام إلى أن يصححوا هذا الانطباع الذي عندهم عن المفكرين المشهورين. فإنهم إن فعلوا ذلك وأصبح معروفا عند الناس أن استمرار عثور المفكر المشهور على أخطاء في نتائج تفكيره هو من طبيعة ومعالم التفكير وأن ذلك لا يعد قدحا في المفكر بل قد يدل على أنه مفكر حقا، إن فعلوا ذلك ستتحقق مصلحتين، الأولى هي أن ذلك سيسهل على المفكر المشهور الاعتراف مرات كثيرة بوجود أخطاء في نتائج تفكيره والقيام بتصحيحها، والثانية هي أن ذلك سيجعل القراء أكثر تشككا وتفكيرا في نتائج تفكير المفكر، فلا يقولون بصحة النتيجة التي توصل إليها المفكر مرتكنين إلى مجرد شهرته وبتفكير غير كاف في هذه النتيجة، ولكن يقولون بصحتها بعد أن يفكروا فيها جيدا ويظهر لهم صحتها.

المقالة الثالثة

في أسباب وآثار السعي للشهرة

غريزة حب الشهرة متأصلة في النفس وقل من يسلم من إغرائها. وأحيانا يقوم المرء بعمل ما بدافع معين ولكن قد يصاحبه دافع الرغبة في الوصول للشهرة وهو لا يعلم. فقد يؤلف كتابا أو يجتهد في الحصول على درجة الدكتوراه بدافع الرغبة في نفع الناس وقد يكون أيضا بدافع الرغبة في تحسين دخله المادي ولكنه لو تفكر في نفسه فقد يجد أن الرغبة في الوصول للشهرة هي أيضا من دوافع ذلك.

وهنا سؤال يفرض نفسه: ماذا عن شخص يسعى لأن يشتهر عمله ليس حبا في الشهرة ولكن لهدف آخر، مثلا شخص آتاه الله علما فيسعى للظهور على القنوات التلفزيونية كي يشتهر علمه ويصل لأكبر قدر من الناس فينتفعون به، فهل يصح أن نسمي نسعيه هذا سعيا للشهرة ليس حبا فيها؟ أقول سواء سمينا سعيه بهذا الاسم أم لم نسمه فالمعنى واحد، ولكنني أفضل ألا نسميه بهذا الاسم وألا نقول أن المرء يسعى للشهرة إلا إذا كان يسعى لها لذاتها وحبا فيها، وهذه ستكون طريقتي في هذه المقالة.

ولكن لماذا تحب النفس الشهرة؟ قد يقال أن ذلك غريزة والغرائز لا تعلل. وهذا يقودني إلى الاستطراد بسؤال آخر وهو: أجميع الغرائز لا تعلل؟ أم أن بعضها يمكن تعليلها؟ والذي يتراءى لي هو أن بعضها يمكن تعليلها. ومن هذه غريزة حب الشهرة فهي قد تعلل بعدة أسباب، منها أنها تشبع غريزة حب المديح والثناء وغريزة حب التميز فوق الآخرين. لا أعرف ماذا يقول علم النفس في هذه المسائل.

ويقال أن بعض الناس قد يسعى للشهرة ولو في أمر مذموم، وهناك أمثلة تذكر للتدليل على ذلك. فإن صح ذلك فإن السببين الذين ذكرتهما آنفا غير كافيين لتفسير حب النفس للشهرة، فيرجح أن يكون هناك سبب أو أسباب إضافية تفسر حب النفس للشهرة ولو في أمر مذموم، أو أن هناك جزءا من غريزة حب الشهرة لا يمكن تعليله.

الرغبة في الوصول للشهرة عندما تكون الدافع الوحيد للقيام بعمل ما

في بعض الحالات تكون الرغبة في الوصول للشهرة هي الدافع الوحيد للمرء للقيام بعمل ما، وفي هذه الحالات فإنه يعلم بتفكر قليل في نفسه أو حتى بدون تفكر أنه يقوم بهذا العمل سعيا للشهرة. ومن يسعى للشهرة فإنه إن كان ذلك في أمر من أمور الدين فلا شك أنه محرم شرعا مطلقا (مع التذكير بما ذكرته سابقا من أنني عندما أقول في هذه المقالة السعي للشهرة فإنني أقصد السعي لها لذاتها وحبا فيها). ولكن السؤال هو هل ينبغي للمرء أيضا في أمور الدنيا أن يكبت غريزة حب الشهرة في نفسه وألا يسعى لها؟ فنقول أولا هناك مسألة الحكم الشرعي، وما إذا كان السعي للشهرة محرما شرعا على كل حال، أم أنه يكون محرما دائما فقط إذا كان العمل الذي يسعى عن طريقه المرء للشهرة دينيا، أما إن كان دنيويا فيختلف الحكم الشرعي من حالة إلى حالة؟ وجواب هذه المسألة عند أهل العلم. وثانيا أقول أن المرء ينبغي له أن يستحضر أن هناك أضرارا للسعي للشهرة قد لا يسلم منها، منها أن ذلك قد يجعله يهمل أسرته وأقرباءه وأصدقاءه وذلك كي يجد الوقت الكافي للقيام بالأعمال التي قد تجلب له الشهرة.

الرغبة في الوصول للشهرة عندما لا تكون الدافع الوحيد للقيام بعمل ما

هناك حالات كثيرة (كالمثالين الذين ذكرناهما في أول فقرة من هذه المقالة) لا تكون فيها الرغبة للوصول للشهرة هي الدافع الوحيد لقيام المرء بعمل ما بل قد تكون مستترة خلف دافع آخر أو أكثر من دافع، ولهذا قد لا ينتبه أن الرغبة في الوصول للشهرة هي أحد دوافعه للقيام بذلك العمل. وبالرغم من أن الدافع أو الدوافع الأخرى التي استتر خلفها دافع الرغبة في الوصول للشهر قد تكون أشد وضوحا منه، لكنها قد تكون أقل تأثيرا منه. ولذلك يحسن التنبيه هنا على ضرورة تفكر المرء في نفسه عند قيامه بأعمال قد تجلب له الشهرة، لأن ذلك سيجعله يتبين إن كانت هذه الرغبة هي أحد دوافعه للقيام بتلك الأعمال أم لا.

الرغبة في الوصول للشهرة أم الرغبة في زيادة الثقة؟

هناك دافع نفسي لقيام المرء بعمل ما يحتاج المرء للتفكر في نفسه للتمييز بينه وبين دافع الرغبة في الوصول للشهرة، وهو دافع أنه يريد أن يزداد ثقة في قدرته العلمية أو الفكرية أو الإبداعية (حسب مجال ذلك العمل). فمثلا قد ينشر مفكر مبتدئ كتابا فكريا ويكون أحد دوافعه لذلك النشر هو أنه يريد أن يزداد ثقة في قدرته الفكرية عن طريق أن يلقى ذلك الكتاب قبولا واسعا عند الناس والمفكرين وأن يكون رأيهم في الكتاب إيجابيا. أو مثلا ينشر شاعر مبتدئ ديوانا ويكون أحد دوافعه لذلك النشر هو أنه يريد أن يزداد ثقة في قدرته الشعرية عن طريق أن يلقى ذلك الديوان قبولا واسعا عند الناس والشعراء وأن يكون رأيهم في الديوان إيجابيا. وهذا الدافع هو برأيي دافع مبرر في الكثير من الحالات وهو منتشر كثيرا في الناس خصوصا المبتدئين في مجالهم. ولكن لأن دافع الرغبة في الوصول للشهرة هو أيضا منتشر كثيرا في الناس المبتدئين في مجالهم، وأيضا لأن دافع الرغبة في زيادة الثقة لا تتم تلبيته إلا عن طريق أن يلقى العمل قبولا واسعا عند الناس (أي عن طريق مجيء الشهرة لذلك العمل)، فإن هذين الدافعين قد يختلطان على المرء. فقد يقوم بعمل ما فيجد نفسه يتمنى أن ينتشر ذلك العمل وأن يسمع به الكثير من الناس، فيظن أن هذا التمني هو ناتج عن الرغبة في الوصول للشهرة وأن هذه الرغبة هي أحد دوافعه للقيام بذلك العمل، فيلوم نفسه على ذلك، بينما أن هذا التمني قد لا يكون ناتجا عن الرغبة في الوصول للشهرة وإنما ناتجا عن الرغبة في زيادة الثقة في صحة ذلك العمل عن طريق أن يلقى ذلك العمل قبولا واسعا عند البارزين في مجال ذلك العمل وعند الناس. ولذا فإنه من الضروري أن يتفكر المرء في نفسه ليتبين أي الدافعين موجود لديه: الرغبة في زيادة الثقة في صحة العمل أم الرغبة في الوصول للشهرة أم الإثنين.

آثار السعي للشهرة

قد ذكرنا سابقا في هذه المقالة أن للسعي للشهرة أضرارا. ثم وصول المرء للشهرة بعد ذلك له أضراره، فقد يجعله أكثر انشغالا عن الناس القريبين منه، وسيحرمه من الخصوصية، وقد يسلط اهتمام الناس والأضواء على أبناءه وأقربائه مما قد يحرمهم هم أيضا من الخصوصية ويسبب لهم الضيق.

وإذا كانت الشهرة التي وصل إليها المرء هي شهرة فكرية فإن ذلك له ضرر إضافي عليه قد يكون فيه مهلكة له، حتى لو أن تلك الشهرة قد جاءته بغير سعي منه إليها، وهو أن الشهرة قد تحنط نفسه بحيث تحد من قدرته على الاعتراف مرات كثيرة بخطأ نتيجة تفكيره (أي بخطأ فكرته) والقيام بتصحيحها، ولو أنها مرة واحدة أو مرات قليلة لهان الأمر. وأود أن أوضح أن من طبيعة ومعالم التفكير أن المفكر كثيرا ما يظهر له أن فكرته كانت خاطئة،

فيكون عليه القيام بتصحيحها. أم لماذا كان ذلك من طبيعة ومعالم التفكير، فانظر المقالة (ضروب ومعالم التفكير (1) و (2)) الموجودة قبل هذه المقالة. ويبدو أن هناك أكثر من سبب يجعل من الصعب على المفكر المشهور الاعتراف مرات كثيرة بخطأ فكرته. وأحد هذه الأسباب هو أن الكثير من القراء لا يعلمون أن عثوره على أخطاء باستمرار في نتائج تفكيره هو من معالم وطبيعة التفكير، ولذلك فإنه يستشعر أنهم لن يتقبلوا أن يكون في نتاجه الفكري الكثير من الأخطاء. فمن جاءته الشهرة الفكرية عليه أن يفطن لهذه المهلكة ويسأل نفسه إن كان يملك الشجاعة لأن يخرج منها سالما.

القسم الثاني:
شذرات

كما في الشعر فإن في الكتابة قريحة أيضا، تأتي وتذهب.

****

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أسلوبه في الكتابة في كتبه المطولة يمتاز بثلاث: أنه سهل جدا وممتنع جدا وممتع جدا.

****

لم أَخْبُر أحدا من المعاصرين أشد ذكاء من سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله ونعوم تشومسكي المفكر الأمريكي الشهير. وبالمناسبة كلاهما قد ذكر عنهما امتلاكهما ذاكرة قوية جدا، فهل جاء ذلك مصادفة أم لأن هناك علاقة بين قوة الذاكرة وبين الذكاء والفهم؟ بما أنني أظن أن قوة الذاكرة (كلها أو على الأقل بعض أنواعها) هي شرط لقوة الفهم والذكاء فإنني أظن أن الجواب الصحيح هو الجواب الثاني.

****

ما أصعب أن يعرف المرء الأولى فالأولى من كثير من الأعمال التي يريد القيام بها والتي لا يسمح الوقت بالقيام بها كلها.

****

جعل المرأة لباسها محتشما يكسبها الدين والدنيا. أما الدين فلأنها ائتمرت بالشرع، وأما الدنيا فلأن جعل اللباس محتشما يجعله أجمل وأكثر أناقة. وهذا الذي ينطبق على الاحتشام في لباسها ينطبق أيضا على الستر في حجابها.

****

أمريكا لكثرة جرائمها ضد الشعوب سيصعب عليها التوقف عن إجرامها، كالرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا، لكن لا عليها فهي لا تفكر في التوقف أصلا!

****

أشك أن تجد إدارة أوباما في التاريخ الحديث للسياسة الخارجية الأمريكية صفحات طاهرة كي تؤوب إليها وتستلهمها.

****

الشعور بالدونية تجاه الغرب قد يشتد عند البعض إلى درجة أنه قد يتوهم أن تفوق الغرب هو طبيعة فيه دائمة، ويذهل عن حقيقة أنه كان دوننا في عصور عزنا. فمن يشعر بهذه الدونية قد يخف عنده هذا الشعور لو استذكر أن الغرب كذلك كان عنده شعور بالدونية تجاهنا في عصور عزنا.

***

بيت المتنبي:

وكم من عائب قولا صحيحا // وآفته من الفهم السقيمِ

يصح أن نعكسه إلى:

وكم من عائب فهما صحيحا // وآفته من القول العليلِ

وأيضا فقد أبدلت كلمة السقيم بالعليل لأنها أخف وطأ. ومثال البيت بهذا المعنى الثاني هو أنني أكثر من مرة تعجبت من عدم فهم طلابي لشرحي مسألة معينة ثم اكتشفت لاحقا أن شرحي ذاك كان مبهما.

***

لابن قدامة:

يخبرني شيبي بأنيَ ميت // وشيكا وينعاني إليَّ فيصدق

تخرق عمري كل يوم وليلة // فهل أستطيع رقع ما يتخرق

***

إذا كنت مقتنعا برأي فدافع عنه، لكن ليس بجزم بات كي لا يصعب عليك التراجع لو اتضح لك يوما أن ذلك الرأي كان خاطئا.

***

كم من الآراء التي كنت مقتنعا بها قبل 5 أو 10 سنوات اتضح لك الآن أنها كانت خاطئة وأنه لو عاد بك الزمن إلى ذلك الوقت فإنك ستغيرها؟ وبناء عليه، لو افترضنا أنك عمرت ألف سنة ثم نظرت خلفك إلى الوقت الحاضر، كم تتوقع من الآراء التي أنت مقتنع بها الآن سيتضح لك أنها كانت خاطئة؟ وأنه لو عاد بك الزمن إلى الوقت الحاضر فإنك ستغيرها؟

***

تكرار المرء مراجعته لسابق أفعاله وأقواله تجاه الآخرين غالبا ما يجعله يكتشف أن بعضها كانت خاطئة في حقهم.

***

من أجمل ما قرأت (من ذكريات الطفولة والصبا) للدكتور إبراهيم عوض:
https://www.facebook.com/Dr.IbrahimAwad/posts/611931845489746

***

سيد جاهلي يقول وقد أسر في المعركة (هناك أبيات تتخلل هذه الأبيات لم أذكرها):

ألا لا تَلوماني كَفى اللَومَ ما بيا // وَما لَكُما في اللَومِ خَيرٌ وَلا لِيا

أَلَم تَعلَما أَنَّ المَلامَةَ نَفعُها // قَليل وَما لَومي أَخي مِن شَمالِيا

فَيا راكِباً إِمّا عَرَضتَ فَبَلِّغَن // نَداماىَ مِن نَجرانَ أَن لا تَلاقِيا

أَبَا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا // وقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليمَانِيَا

وَقَد عَلِمَت عرسي مُلَيكَةُ أَنَّني // أنا اللَيثُ مَعدُوّاً عَليه وَعادِيا

أَحَقّاً عِبادَ اللهِ أَن لَستُ سامِعاً // نَشيدَ الرعاءِ المُغربينَ المُتالِيا

كَأَنّيَ لَم أَركَب جَواداً وَلَم أَقُل // لِخَيلِيَ كُرّي نَفِّسِي عَن رِجالِيا

****

قال شاعر حكم عليه في الغربة وأودع السجن (هناك أبيات تتخلل هذه الأبيات لم أذكرها):

عسى الكرب الذي أمسيت فيه // يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان // ويأتي أهله النائي الغريب

ألا ليت الرياح مسخرات // لحاجتنا تباكر أو تؤوب

فتخبرنا الشمال إذا أتتنا // وتخبر أهلنا عنا الجنوب

****

شيء مؤلم لا بد وأن يحصل للأصدقاء من أقارب وغيرهم عندما يكبرون (إلا من ندر) أنه تصبح بينهم حواجز، بخلاف حالهم عندما كانوا في فترة المراهقة وبداية الشباب. ولكن الإنسان إذا اجتهد فإنه يستطيع إزالة هذه الحواجز أو تخفيفها بينه وبين أصدقائه. ومما يساعده على إزالة الحواجز هو أن يجعل نفسه كتابا مفتوحا لأصدقائه ولا يكتم عنهم من أموره إلا ما لا بد من كتمانه.

****

إذا هممت ألا تتجاوز خطأ صديق لك فاستذكر ماضيك فإنك قد تتذكر خطأ بوزن خطأه وقعت فيه في حقه ولكنه تجاوزه أو تغافل عنه.

****

ما أعظم البشر الذين يزيلون الحواجز بينهم وبين البشر.

****

يحصل أحيانا أن تكون الطرق غير مزدحمة وسالكة فيصل المرء أسرع من المعتاد، ثم يقول من ينتظره: لماذا تأخرت؟..!!

لا حيلة مع منتظر.

****

للبارودي (هناك أبيات تتخلل هذه الأبيات لم أذكرها):

فترَسم معالم الأرض، واسأل // فعسى أن يجيبك الهرمان

أثر دل صنعه أن ((هرمي // س)) بناه من أبدع البنيان

سوف تبلى من بعد حين، ويمحى // ذكر ((هرميس)) من سجل الزمان

الشاعر في هذه الأبيات يرى أنه لا شيء تقريبا في هذه الدنيا يقف في وجه الزمن، لا الأعمال العظيمة ولا حتى بعد فنائها مجرد ذكر من قام بها، مهما طال بقاء هذا الذكر.

****

يبدو أن جميع المشاكل التي تواجه المرء (إلا ما ندر جدا منها) إذا أدام التفكير فيها فإنه يستطيع حلها بطريقة أو بأخرى.

****

مشكلة تواجه الأهل هي أنهم لا يمكنهم أن يستوعبوا الكثير من رغبات ومشاعر أطفالهم إلا استيعابا عقليا فقط وليس استيعابا شعوريا. فالطفل عندما يريد مثلا أن يعبث بالماء فإن الأهل يستوعبون هذا الرغبة لعلمهم العقلي أن الأطفال يحبون العبث بالماء. ولكن شتان بين هذا وبين الاستيعاب الشعوري. فهم لم يشعروا بمثل هذه الرغبة إلا عندما كانوا أطفالا ولعهم قد نسوا تماما هذا الشعور. وإن تذكروه فهو تذكر ناقص جدا ليس فيه تذكر لكيفية هذا الشعور وكنهه (أو دعني أقول أنهم لا يمكنهم استشعار هذا الشعور). قارن هذا برغبات أطفالك التي تستطيع أن تستوعبها شعوريا كالرغبة الشديدة في النوم مثلا، فلا بد أنك خلال هذا الأسبوع قد شعرت بهذه الرغبة. ولكن تخيل لو أنك لم تشعر بالرغبة الشديدة في النوم إلا عندما كنت طفلا صغيرا، ألن يكون استيعابك لهذه الرغبة ناقصا جدا؟ ولذلك أظن أن تعامل الأهل مع رغبات أطفالهم التي يستوعبونها شعوريا أنجح من تعاملهم مع تلك التي يستوعبونها عقليا فقط.

****

التكنولوجيا تهاجم آخر معاقل الخصوصية. مقالة في مجلة نيتشر (من أقوى المجلات العلمية في العالم) بها أن العلماء تمكنوا جزئيا بإذن الله من معرفة ما يراه النائم باستخدام تقنية متطورة. وهذا هو الرابط:

http://www.nature.com/news/brain-decoding-reading-minds-1.13989

***

صعوبة البلاغة ليست فقط بسبب أن العبارة المؤدية إلى المعنى ينبغي أن تكون قصيرة ولكن أيضا لأنها ينبغي ألا تؤدي إلا إلى ذلك المعنى.

وقد يقال: أحيانا يجعل الكتاب عبارته تحتمل أكثر من معنى عن قصد، فهل نقول بناء على كلامك أن عبارته تلك غير بليغة لأنها احتملت أكثر من معنى؟ أقول عبارته تلك التي تحتمل أكثر من معنى هي على أحد حالتين، الحالة الأولى أن تكون مصاغة صياغة لا تقود القارئ إلى معنى خارجا عن المعاني التي قصدها الكاتب، فهنا نقول أن العبارة بليغة، بل قمة في البلاغة، لأن الكاتب صاغها صياغة جمعت بين شيئين في نفس الوقت، الشيء الأول أن الصياغة جعلت العبارة تحتمل ليس معنى واحدا فقط بل أكثر من معنى في ذهن الكتاب، والشيء الثاني هو أن الصياغة مع ذلك جعلت العبارة لا تحتمل معان أخرى ليست في ذهن الكاتب، فهذا الجمع بين الشيئين هو قمة في البلاغة، ولكن ما أندر من يستطيع ذلك. الحالة الثانية هو أن العبارة مصاغة صياغة تقود القارئ ليس فقط إلى أكثر من معنى في ذهن الكاتب بل أيضا إلى معان ليست في ذهن الكاتب، فهنا نقول نعم، العبارة غير بليغة.

***

الكتابة تُمحص وتُنضج وتُنمي فكر الكاتب.

***

التسرع في إنجاز العمل الفكري أو العلمي خطأ، ولكن لو انتظر المرء أن يبلغ عمله الكمال فلن ينهيه أبدا، فما العمل؟ برأيي ينهيه إذا وصل درجة ترضيه.

***

السلوك في تويتر (من تغريد، وريتويت أو عدمه، وردود، ومتابعة أو إلغاء متابعة) مادة غنية لدراسة تعقيدات النفس البشرية.

***

د. عبدالكريم بكار في كتابه (تكوين المفكر) قطع شوطا في استكشاف معالم التفكير. برأيي كان مصيبا جدا في مواضع.

***

يقول أبو العتاهية:

لن تستتم جميلا أنت فاعله // إلا وأنت طليق الوجه بُهْلولُ

(البُهْلول : الضَّحَّاك)

ويقول أيضا:

وَالشَيبُ يَنعى إِلى المَرءِ الشَبابَ كَما // يَنعى الأَنيسَ إِلَيهِ المَنزِلُ الخالي

ويقول أيضا:

لِلمَرءِ أَلوانُ دُنيا رَغبَةٌ وَهَوى // وَعَقلُهُ أَبَداً ما عاشَ مَدخولُ

(مدخول: به شائبة وفساد بسبب تأثير الهوى عليه)

ويقول أيضا:

قد كنتِ يا دنيا ملكتِ مقادتي ... ففريتني بوساوس وخبالِ

-

-

الآن أبصرت الضلالة والهدى ... والآن فيكِ قبلت من عذالي

ويقول أيضا عن أناس عايشهم وماتوا:

توهمت قوما قد خلوا فكأنهم // بأجمعهم كانوا خيالا تخيلا

****

برأيي أنه إذا جاءت حالة لا بد فيها من أحدهما، فإن التفصيل الممل أفضل من الاختصار المخل.

****

تقريبا عندما ينتصف المرء في العشرينيات من عمره تبتدئ نفسيته تصبح هشة، سهلة الكسر (بالانتقاد مثلا) بطيئة الالتئام، ثم يزداد ذلك كلما تقدم في العمر.

****

سرعة تخلي الساسة الغربيين عن المبادئ التي يتشدقون بها تذكرني بقول كعب:

ولا تَمَسَّكُ بالعهد الذي زَعَمَتْ // إلا كما يمسك الماءَ الغَرابِيلُ

الغربال: المنخل. هل سيمسك من الماء شيئا لو سكبته فيه؟

****

أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) يصف صنعاء عام 1340 للهجرة بأنها أكبر وأجمل مدينة في الجزيرة العربية. ويصف بيوتها العالية، وبعضها ست طوابق، بأنها جميلة التخطيط متقنة البناء. وأن ذلك البناء له طابعه العربي الخاص الذي لم يتأثر بطابع البناء الأوروبي أو غيره (بخلاف بعض مدن الجزيرة وقتها كما ذَكَر). وأقول لعل ذلك البناء كان مما بقي من فنون وعلوم وحضارة أمتنا العربية والإسلامية. كم أجهل من تاريخ تلك الحضارة وتلك العلوم والفنون!

****

قلَّ من يسلم من الوقوع أحيانا في المبالغة في كلامه، حتى الأفاضل.

****

قد يرى البعض أن بعض الدول الكبرى فيها فضيلة أنها تدعم حقوق الشعوب الضعيفة، وأنه لا يلغي هذه الفضيلة كون أنه فقط إذا اتفق وأن تعارضت حقوق الشعوب الضعيفة مع مصالحها فإنها تسعى لمصالحها على حساب تلك الحقوق، فلها الحق أن تحافظ على مصالحها. فأقول هذا قد يتفهم لو كانت هذه المصالح تمثل حاجة ضرورية وجودية لتلك الدول الكبرى، فقد يبرر لها أن تسعى لتلك المصالح ولو على حساب حقوق الشعوب الضعيفة. كمثل شخصين أشرفا على الهلاك عطشا فوجدا كوب ماء فلو أخذه أحدهما بالقوة فقد يلتمس له العذر في ذلك. ولكن الواقع أن أكثر مصالح تلك الدول التي تسعى لها على حساب حقوق الشعوب الضعيفة ليست من هذا النوع وإنما هي من النوع الذي يجعلها أغنى وأغنى. أفلا يعني ذلك أنها أوجدت وفرضت بعض المصالح لها ليست من حقها ظلما وعدوانا؟ وبالتالي لا يكون من حقها المحافظة على تلك المصالح.

أما حقوق الشعوب الضعيفة التي لا تتعارض مع مصالح الدول الكبرى، فأقول أن هذه الحقوق ستكون غالبا في صالح تلك المصالح! لأنه بسبب ترابط العالم يندر أن تكون هناك حقوق للشعوب لا ضد ولا في صالح مصالح الدول الكبرى، فالغالب أن حقوق الشعوب الضعيفة إن لم تكن ضد مصالح الدول الكبرى فإنها ستكون في صالحها. وهذا يعني أن دعم الدول الكبرى لتلك الحقوق التي لا تتعارض مع مصالحها هو غالبا في صالحها! فطبعا لا يعتبر هذا الدعم فضيلة. ولا أظن إلا أن هتلر نفسه كان يقوم أيضا بمثل هذا الدعم!

****

إذا كان المرء لا يحس بإجهاد ونصب نفسيين خلال سعيه لتقليل النقائص والعيوب والتناقضات التي فيه فهذا يدل على أنه لا يسعى حقيقة.

****

قد يراهن البعض منا على شعوب الدول الكبرى أن تثني ساستها عن ظلمنا والعدوان علينا وأن تعاقبهم بعدم التصويت لهم إذا ظلمونا. هذا غالبا ما يكون رهانا خاطئا برأيي، لأن الوعي السياسي بالقضايا الخارجية عند أغلبية الشعب في الدول كبرى ضعيف. والتصويت هو غالبا لقضايا داخلية (اقتصادية غالبا). ثم إن هدف (ونتيجة) ظلم وعدوان ساسة تلك الدول علينا هو ازدهار بلدانهم اقتصاديا وبالتالي المحافظة على المستوى العالي من الدخل التي تعيش فيه شعوب تلك الدول. فلو افترضنا أن الوعي السياسي بالقضايا الخارجية قد ازداد عند تلك الشعوب فإنها لو ثنت ساستها عن سياستهم العدوانية فإن ذلك سيؤدي إلى نزول مستوى الدخل لتلك

الشعوب، فهل تظن أنها على استعداد للتنازل عن ذلك المستوى من الدخل؟ خصوصا ونحن نرى أن تصويتها هو غالبا لمن يحسن وضعها الاقتصادي ويزيد من مستوى دخلها.

****

أمين الريحاني في كتابه (ملوك العرب) وجد أن الأمن في نجد عام (1340 هـ) قد شارف درجة التمام. وأن البلاد كانت أكثر أمنا من أمريكا (بلاد الريحاني) وأوروبا. وضرب مثلا على ذلك فذكر أنهم مروا في طريق سفرهم بجمل بارك محمل ببضاعة، فسألوا عن صاحبه فقيل أنه تركه وذهب للبلد ليحضر باقي البضاعة، ويقول " وقد يموت الجمل .. ويبقى حمله .. عشرة أيام فيعود صاحبه فيجده، وما مسته يد بشرية، كما تركه في مكانه". وأرجع الريحاني استتباب الأمن الذي وجده إلى تطبيق الشرع وتطبيق العقوبات الحكومية الرادعة على الجميع.

****

من الغريب أنه في أحيان كثيرة فإنه بالرغم من صعوبة تعريف الشيء إلا أنه من السهل تمييزه عن غيره. فمثلا من الصعب تعريف الأدب أو العلم، لكنه من السهل أن تقول عن كلام قرأته أنه كلام أدبي وليس علمي، وعن كلام آخر أنه علمي وليس أدبي، وعن كلام آخر أنه علمي أدبي (أقصد علمي صيغ بأسلوب أدبي).

****

عدم تفكر المرء مرارا في أقواله وأفعاله وأعماله الحاضرة والسالفة هو سبب لعدم اكتشافه (وبالتالي عدم إصلاحه) لكثير من عيوب نفسه. ومن الأمثلة على هذه العيوب: أن الرغبة في الوصول للشهرة هي أحد دوافع عمل يقوم به، أن بعض الأفعال التي يقوم بها هي أفعال تسلطية أو استعلائية أو عنصرية أو إقصائية، الكثير من التناقضات في أقواله وأفعاله.

****

قد توجد ذاكرة قوية بدون فهم قوي، أي قد يوجد شخص قوي الذاكرة ليس قوي الفهم، ولكني أشك أن يوجد فهم قوي بدون ذاكرة قوية (إن لم يكن قوة الذاكرة كلها فعلى الأقل قوة بعض أنواعها)، أي أشك أن يوجد شخص قوي الفهم ليس قوي الذاكرة (أو على الأقل قويا في بعض أنواع الذاكرة).

****

أتعجب أنه مع أن العالم به جامعات مخصصة كليا لدراسة بعض المواضيع، كالتكنولوجيا أو الاقتصاد، لكن لا يوجد في العالم جامعة مخصصة كليا لدراسة النفس البشرية.

****

كنت أرى أن الشعر الفصيح يعيش أزمة في الوقت الراهن وأنه لم يعد هناك شعر فصيح عظيم مثل شعر شوقي والبارودي وأبو ريشه وغيرهم من الكبار. ولكنني الآن بدا لي أن هذه الأزمة قد تكون أقل مما أظن، وأن هناك من الشعر الفصيح الراهن ما هو ممتاز ولكنني لم أنتبه له بسبب حجاب المعاصرة. ومن الأمثلة بعض أشعار الدكتور محمد المقرن، فقد دب إلي إحساس أنها أشعار ممتازة وأنها قد تخلد. ويكفيني في هذه الأشعار أن بعضها قد عبر بشكل جميل عن معان إنسانية عميقة، كقوله:

وكنت أظن أن البعد ينسي // مضوا ومضى الزمان وما نسيت

أودعهم إذا ارتحلوا وإني // لمودعهم بقلبي ما حييت

وأن بعضها قد أثر بمشاعري، كقوله:

لا حزن يبقى ولا ظُلْمٌ ولا ظُلَمٌ // ففيم تبكين طول الليل يا مهج؟

وأن بعضها قد انطلق بها لساني أرددها وأتغنى بها، كقوله:

في حياتي أكتب الشعر فيسري // يملأ الآفاق من فيض شجوني

ليتني أكتب شطرا عند قبري // مات غل القلب قبلي، سامحوني

وأن بعضها قد صاغت شعرا بعض المعاني التي تحيك في صدر البعض، مثل قوله:

وما عجبت لشيء مر من عمري // كما عجبت لها: أم وتعتذر!

ومن الأمثلة أيضا قصيدة قرأتها للدكتور عبدالرحمن العشماوي أحسست بجمالها وتأثيرها في مشاعري.

****

البارودي:

ليت المشيب تأخرت أيامه // حتى أفوز من الشبيبة بالمُنَى

****

طغاة العالم الثالث يبدو أنهم من أكثر من يفهم الاستراتيجية السياسية الغربية.

****

امرؤ القيس يبدع في وصف معاناته مع المرض:

وما خفت تبريح الحياة كما أرى // تضيق ذراعي أن أقوم فألبسا

فيا ليتها نفس تموت جميعة // ولكنها نفس تساقط أنفسا

****

الأعشى:

وَقُورٌ إذا ما الجهل أعجب أهله // ومن خير أخلاق الرجال وُقُورُهَا

****

من المفترض أن المسؤولين قد قاموا قديما بدراسات لتوقع حجم توسع مدينة الرياض خلال فترة زمنية (لنقل عشرين سنة). والسؤال هو هل الواقع جاء قريبا من تلك التوقعات أم لا؟

****

أظنني قد قرأت لشيخ الإسلام ابن تيمية كلاما معناه قريب من أنه من أكثر ما يؤتى الناس من قبل القياس الخاطئ. وهذا فعلا لا حظته حتى في الأمور والمسائل الدنيوية. ولكن بالرغم من أنه قل من يسلم من الوقوع في القياس الخاطئ ابتداء، ولكن بعض الناس بعد ذلك ينتبه بتفكره أنه وقع في ذلك فيقوم بتصحيحه، وبعض الناس لا ينتبه لذلك (غالبا بسبب عدم تفكره) فيستمر على قياسه الخاطئ.

****

كلمة (آلآنَ؟!) التي وردت في القرآن الكريم، كثيرا ما أرددها متعجبا من جمالها وبلاغتها.

****

لنفترض أن الدولة في المملكة لا تستخدم التقويم الهجري وأنه لا يستخدم في أي بلد آخر، ثم ظهر مفكر يدعو لأن تقوم الدولة تدريجيا باستخدام التقويم الهجري بدل الميلادي، فماذا سيكون موقف الناس منه؟ أظن أن الكثير من الناس سيقولون فكرتك هذه مستحيلة التطبيق، فكيف تريد أن تستخدم الدولة التقويم الهجري والعالم من مشرقه إلى مغربه يستخدم التقويم الميلادي، فلو طبقنا اقتراحك لانعزلنا عن العالم ولتعطلت الدولة والحياة تماما، حتى لو أننا طبقنا اقتراحك بالتدريج. إذا كان القارئ الكريم يتفق معي في هذا، أي يتفق معي أن استخدام التقويم الهجري بدل الميلادي لو يكن مطبقا أمام أعيننا لظن الكثير من الناس أنه مستحيل التطبيق، إذا اتفقنا على ذلك فنكمل الفكرة ونقول: فلنترك الآن هذا المثال الافتراضي ودعنا نعود للواقع فسنجد أنه بالرغم من أن الدولة في المملكة فعلا تستخدم التقويم الهجري في الكثير من الأمور المهمة (كصرف الرواتب مثلا) إلا أن ذلك لم يجعل الحياة تتعطل بل هي مستمرة وعجلة الدولة تدور، نعم ربما أن ذلك يسبب شيئا من الصعوبة لكنه لم يجعل الحياة تتعطل. إذن ألا يعني ذلك أن بعض الأفكار والاقتراحات التي نظن أنها مستحيلة التطبيق هي ليست مستحيلة بل قابلة للتطبيق وأنها تتطلب فقط الإرادة لتطبيقها؟

أرجو أن لا يذهب ذهن القارئ الكريم إلى مسألة هل استخدام التقويم الهجري بدل الميلادي مفيد أم لا، فهذه ليست مسألتنا هنا، إلا إذا كان يظن أنه ربما أن السبب الذي جعل استخدام التقويم الهجري بدل الميلادي قابلا للتطبيق هو كونه غير مفيد، وبالتالي يظن أن هذا المثال يدل فقط على أن بعض الأفكار والاقتراحات الغير مفيدة التي نظن أنها مستحيلة التطبيق هي ليست مستحيلة بل قابلة للتطبيق، أما للدلالة على أن بعض الأفكار والاقتراحات المفيدة التي نظن أنها مستحيلة التطبيق هي ليست مستحيلة بل قابلة للتطبيق فإنه يظن أن المثال الذي ذكرناه لا يصلح لذلك بل لا بد أن نأتي بمثال على حالة مفيدة. فأقول أن هذا برأيي تصور خاطئ، فكون الشيء مفيدا أو غير مفيد لا يؤثر على كونه قابلا للتطبيق أو مستحيل التطبيق، وبالتالي لو جئنا بمثال مطبق واقعا (حتى لو لم يكن مفيدا) لو لم يكن مطبقا لظن الناس أنه مستحيل التطبيق فإن ذلك يدل على أن بعض الأفكار والاقتراحات (المفيد منها وغير المفيد) التي نظن أنها مستحيلة التطبيق هي ليست مستحيلة بل قابلة للتطبيق.

****

ذكر الصديق الدكتور خالد الراجحي في كتابه (دروب مختلفة)، في الفصل الأول الذي عنون له ب (أما بعد)، أنه ليس فقط الأحداث الجميلة ولكن أيضا الأحداث السيئة في الماضي قد تبدو جميلة عند تذكرها، وعزا ذلك إلى أن آثارها السلبية تكون قد اندثرت، فلم يبق إلا الذكرى والذكرى من طبيعتها أنها جميلة. أما لماذا الذكرى من طبيعتها أنها جميلة، ولماذا لا تكون الذكرى محايدة لا جميلة ولا سيئة؟ فهذا موضوع آخر لم يتكلم عنه الدكتور، بل توقف عند أن الذكرى من طبيعتها أنها جميلة أو كما قال أنها "تجلو الابتسامة". وأنا أقول أنه لو صحت فكرة الدكتور من أن ذكرى الحدث السيء (وكذلك بالطبع ذكرى الحدث الجميل) من طبيعتها أنها جميلة فإن سبب ذلك قد يكون أن الدماغ بآلية معينة غير معروفة يحدث شعورا جميلا بذكرى الحدث السيء (وكذلك بالطبع ذكرى الحدث الجميل). وأتم الدكتور فكرته بأنه ولأن الذكرى جميلة (ذكرى الحدث السيء ومن باب أولى ذكرى الحدث الجميل) فإن الناس دائما ما يكون عندهم شعور جميل بالماضي.

هذه هي فكرة الدكتور حسب فهمي لها، وأظن أن جميع الناس أو أغلبهم يتفقون على أن الشعور بالماضي جميل، أما تفسير الدكتور لذلك بأنه بالإضافة إلى أن الشعور بذكريات الأحداث الجميلة جميل فإن الشعور بذكريات الأحداث السيئة هو أيضا جميل فهو تفسير أسمعه لأول مرة، وإن صح تفسيره فإنه برأيي يكون قد جاء باكتشاف فكري رائع. أما التفسير الذي كنت أميل إليه، وأظنني قد قرأته في مكان ما، هو أن سبب ذلك (أي سبب كون الشعور بالماضي جميلا) هو أن في الدماغ آليه معينة تُنسي المرء (أو تثبط في ذاكرته) ذكريات الأحداث والمشاعر السيئة التي مر بها في الماضي أما ذكريات الأحداث والمشاعر الجميلة فينساها المرء بمعدل أقل، فإذا التفت للماضي (مثلا ماضيه في المدرسة أيام الصبا) فإنه مباشرة يتذكر الأحداث والمشاعر الجميلة التي مر بها في المدرسة أما الأحداث والمشاعر السيئة فيكون قد نسي أكثرها، ولذلك يكون الشعور بالماضي جميلا. والذي جعلني أميل سابقا إلى هذا التفسير هو أنني عندما ألتفت إلى أيام المدرسة أشعر مباشرة بشعور جميل فأقول ما أجمل تلك الأيام بل وأقول ليتها تعود، ولكنني إذا بدأت أستذكر مليا تلك الفترة أتذكر العديد من المشاعر السيئة التي مررت بها بل وأتذكر أنني حينها كنت أكره المدرسة أكثر مما أحبها وهذا يدل على أن دماغي قد قام بتثبيط هذه الذكريات في ذاكرتي فنسيت تلك المشاعر السيئة التي مررت بها في المدرسة بل ونسيت أنني حينها كنت أكره المدرسة أكثر مما أحبها. وأنا الآن لا أعلم هل التفسير الصحيح لكون الشعور بالماضي جميلا هو تفسير الدكتور أم التفسير الذي ذكرته أم خليط منهما.

****

طريقة جعل جميع أو أغلب المقاطع (الفقرات) في المقالة جملة واحدة فقط، التي يستخدمها كثيرا الشيخ سلمان العودة، هي حسب مطالعتي طريقة جديدة في الكتابة، لها جمالها.

****

الأزمة المعروفة باسم أزمة الصواريخ الكوبية في شهر أكتوبر عام 1962 م كادت أن تؤدي إلى حرب نووية بين أمريكا والاتحاد السوفييتي مما كان سيؤدي إلى قيام الحرب العالمية الثالثة. وقد فصلت مقالة نشرها موقع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) في 24-أوكتوبر-2012 م كيف أن الأزمة في ذلك الشهر قد تطورت إلى درجة أنه لم يكن يفصل الدولتين عن الدخول في حرب نووية إلا ساعات معدودة فقط! ولكن الاتفاق الذي جاء في آخر لحظة نزع فتيل الأزمة.

عندما تناقشت في هذه القصة خلال جلسة أُسرية مع أحد أشقائي، خالد، كان رأيه أن الحالة الوحيدة التي كان من الممكن أن تندلع فيها حرب نووية في تلك الأزمة بين القوتين العظمتين هو أن تظن إحداهما خطأ أن الدولة الأخرى قد بدأت بهجوم نووي فتقوم باستخدام السلاح النووي من باب الرد، أما أن تقوم إحداهما قصدا باستخدام السلاح النووي ابتداء، من باب الهجوم وليس من باب الرد، فإن ذلك كان احتمالا ضعيفا جدا في تلك الأزمة، وذلك لأنه كان عند الدولتين من التعقل ما يمنعهما من ذلك. أقول أن هذه وجهة نظر قوية وأنا الآن أميل إليها.

****

كنت أظن أن تدريس الطب والعلوم بالعربية في سوريا ابتدأ مع مجيء حزب البعث للسلطة والشعارات العروبية التي رفعها، ولكنني تفاجأت عندما علمت أن ذلك ابتدأ قبل مجيء حزب البعث للسلطة بنصف قرن تقريبا، وكان ذلك في عام 1918 م في المعهد الطبي العربي (وهو نواة جامعة دمشق) والذي سمي فيما بعد بكلية الطب. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن (مئة سنة تقريبا) ظل أساتذة الشام يدرسون بالعربية، حتى في زمن الاحتلال الفرنسي.

****

سؤال: الشباب في فترة المراهقة أو ما بعدها بقليل، هذا الجيل المتمكن جدا في التعامل مع منتجات الثورة التكنولوجية في هذا العصر، عندما يكبرون وتصبح أعمارهم في الستين، هل سيكونون متمكنين جدا في التعامل مع منتجات الثورة التكنولوجية لذلك العصر مثل شباب ذلك العصر؟ أم أنهم سيكونون غير متمكنين جدا وأنه ستكون هناك فجوة تكنولوجية كبيرة بينهم وبين شباب ذلك العصر، وأن شباب ذلك العصر سيتندرون عليهم فيما يتعلق بتعاملهم مع منتجات الثورة التكنولوجية؟ أنا أميل إلى أن الجواب الصحيح هو الجواب الثاني، ولكن لو سألت هذا السؤال لشباب عصرنا هؤلاء فماذا سيكون جوابهم؟ أظن أنهم سيظنون أن الجواب الصحيح هو الجواب الأول.

****

لله در المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته...

خصوصا عندما يُكْرَم الكريم بحسن التعامل.

****

أحيانا يطرح المرء فكرة صحيحة ولكنها تكون بحاجة إلى توضيح، فيضرب لها مثالا ليوضحها، ولكن هذا المثال يكون غير متطابق مع الفكرة أو غير واضح، فيتشكك القارئ في صحة الفكرة مع أنها صحيحة، ولذلك فإن اختيار المثال المناسب الذي يوضح الفكرة أحيانا لا يقل أهمية عن طرح الفكرة نفسها، ولكن الاهتداء إلى المثال المناسب لا يكون دائما أمرا سهلا.

****

قرأت كتاب: من العالم الثالث إلى الأول. المؤلف: لي كوان يو (وهو مؤسس سنغافورة الحديثة). المترجم: معين الإمام، الناشر: العبيكان. الكتاب يحكي قصة بناء سنغافورة داخليا وخارجيا، وقد كُتب بطريقة شيقة وواضحة

ومرتبة جدا، والترجمة أيضا واضحة. هذا الكتاب سِفْر، أتوقع أن يستفيد منه كل مهتم بالسياسة أو الاقتصاد أو الإعلام أو التاريخ العالمي في النصف الثاني من القرن العشرين.

****

التحليل السياسي ومحاولة فهم مجرى الأحداث الدولية أو الإقليمية الراهنة وتوقع مآلاتها هو من أصعب الأمور لاجتماع سببين رئيسيين برأيي. الأول هو أن العوامل التي تلعب دورا في تلك الأحداث كثيرة ومتشابكة بصورة معقدة. الثاني هو شح المعلومات فالكثير الكثير من الأسرار الدولية المتعلقة بالأحداث التي يقوم المحلل السياسي بدراستها تبقى مجهولة له، بل وحتى المعلومات المتاحة تحتاج مجهودا كبيرا منه لاستقصائها والتثبت منها. ولذلك فالكثير من الأحداث الدولية يكتنفها الغموض ويحار المحلل في تفسيرها.

ولهذه الصعوبة للتحليل السياسي فإنني أتعجب من ثقة أغلب الذين يقومون بالتحليل السياسي في وسائل الإعلام ومواقع التواصل وغيرها بصحة تحليلاتهم. وأود أن أوضح أنني لا أنتقد ظاهرة كثرة الذين يقومون بالتحليل السياسي، فهي ظاهرة مفيدة، لأن كثرة التحليلات تؤدي إلا تلاقحها والوصول إلى تصور أفضل للمسألة السياسية التي يُعمل على تحليلها، لكن ليتهم فقط يكونون أقل ثقة في صحة تحليلاتهم.

****

سبق أن كتبت في النبذة التعريفية لي بتويتر "إعادة التغريد لا تعني بالضرورة الموافقة بل غالبا تعني أن التغريدة تستحق التأمل".

****

برأيي أن من أسباب انتشار الأساليب التي بها إشكالية أخلاقية واضحة في التسويق والإعلانات التجارية هو أن الكثير من الناس لا يرون أن بهذه الأساليب إشكالية أخلاقية أو يقرون أن بها إشكالية أخلاقية لكنهم يرون أن المسوق معذور باستخدام هذه الأساليب لأنه مضطر لذلك ليسوق سلعته. فمثلا عندما يُكتب على سلعة أن سعرها هو 999 ريال، فإن الكثير من الناس يقولون أن هذا الأسلوب ليس به إشكالية أخلاقية فمن وضع السعر لم يكذب، مع أن هذا الأسلوب فيه محاولة واضحة للإيهام.

مثال آخر، عندما يقول مسوق عن سلعته الغذائية: لن تجد ألذ من طعم كذا (منتجه الغذائي)، فمع أن مثل هذه العبارة فيها ادعاء بغير دليل، فما أدرى المسوق أنني لن أجد ألذ من طعم منتجه؟ فالأذواق تختلف، خصوصا أن المنتج قد يكون من الدرجة الثالثة أو الرابعة في السوق! فمع ذلك فإن الكثير من الناس لا يرون أن هذه العبارة بها إشكالية أخلاقية. وبعض الناس قد يقول: يا أخي هذا اعتقاده، فالمسوق يعتقد أنك لن تجد ألذ من طعم منتجه، وهنا أقول: هل تعتقد فعلا أن المسوق يعتقد ذلك، أي عندما تكون السلعة من الدرجة الثالثة أو الرابعة، هل تعتقد فعلا أن المسوق فعلا يعتقد في نفسه أنني لن أجد ألذ من منتجه. وهنا قد يقول البعض: نعم يبدو أنه لا يعتقد ذلك حقيقة، فمن الصعب تصور أنه يعتقد في قلبه أن الناس على اختلاف أذواقهم لن يجدوا ألذ من منتجه، حتى لو كان من الدرجة الأولى فما بالك إذا كان من الدرجة الثالثة أو الرابعة، ولكنه لا بد أن يقول ذلك وهو معذور في ذلك، فهذه هي طبيعة الإعلانات التجارية، وإلا بالله عليك كيف تريده أن يسوق منتجه؟ بالله عليك ماذا تريده إذن أن يقول في إعلانه التجاري؟ فأقول: هنا مربط الفرس، فقول الكثير من الناس: هذه هي طبيعة الإعلانات التجارية، لا بد أن يكون فيها مثل هذه العبارات كي يسوقوا منتجهم، لا إشكالية أخلاقية في ذلك، أو حتى لو قلنا أن في ذلك إشكالية أخلاقية واضحة، فإن المسوق معذور باستخدام مثل هذه الأساليب التي بها إشكالية أخلاقية

واضحة، لأنه مضطر لذلك كي يسوق منتجه، أقول برأيي أن هذه الأقوال وهذا التقبل لهذه الأساليب هو أحد الأسباب التي جعلت هذه الأساليب تنتشر وشجعت المسوقين على استخدامها.

والمسألة كلها تدور برأيي حول أن المسوق مضطر لذلك وأن هذه هي طبيعة الإعلانات التجارية وأنه لا يمكن أن تكون الإعلانات التجارية إلا كذلك، فلا يمكن تصور بديل آخر. فأقول أنه برأيي ليس صحيحا أنه لا يمكن أن تكون الإعلانات التجارية إلا كذلك، وأنه ليس هناك بديل لذلك. وبرأيي أن المرء لو تفكر في هذه المسألة سيجد أنه يمكن أن يكون التسويق والإعلانات التجارية خاليين من مثل هذه الإشكاليات الأخلاقية الواضحة. فلو عدنا لمثال المنتج الغذائي، فإن المسوق يستطيع أن يقول عبارات ليس بها إشكالية أخلاقية واضحة، مثلا يستطيع أن يقول عن منتجه: نتمنى أن تجده لذيذا، و: اجتهدنا كثيرا في إعداده، وهكذا. ومثلا في المنتجات التي ليست من الدرجة الأولى وأقل سعرا من بعض المنتجات المنافسة بسبب أن هذه المنتجات أقل تكلفة بسبب مثلا أن إجراءات الجودة أقل من المنتجات الأعلى سعرا، فإن المسوق يستطيع أن يذكر في تسويقه للمنتج أن هذا المنتج هو مناسب جدا للعميل الذي يريد أن يجمع بين أن يكون سعر المنتج غير مرتفع وبين أن تكون درجة جودة المنتج جيدة ولا تنقص عن الحد الأدنى المطلوب حكوميا لكن ليس بالضرورة عنده أن تكون درجة الجودة هي أعلى درجة. وهكذا.

****

أجد صعوبة في جعل رأيي غير متحيز ضد ماركة سيارات معينة تعاطفتُ مع منافستها، وهو أمر هين، فكيف ستكون صعوبة تخليص رأيي من الهوى في الأمور المهمة؟!

****

اعتراف المرء بخطأ فكرته إذا ظهر له ذلك هو نظريا سهل لكنه عمليا صعب. وللتدليل على ذلك أقول: ألم يحصل مرة أن كنت في نقاش مع مجموعة من الأصدقاء واتخذت وجهة نظر معينة، فاقتنع أحدهم بوجهة نظرك فأخذ يؤيدها ويدافع عنها بحماس خلال النقاش، ثم ظهر لك مع النقاش أن وجهة نظرك خاطئة، ألم تشعر أن اعترافك بخطأ وجهة نظرك سيحرج ذلك الذي دافع عنها بحماس؟

****

سؤال: إذا كان هناك عملين تفكر في القيام بأحدهما فقط لأن الوقت لا يكفي بالقيام بهما جميعا. أحدهما قدرت أن نسبة نجاحه ضئيلة، ولكنه لو نجح سيكون عظيم الفائدة. العمل الآخر أقل كثيرا فائدة من الأول ولكنك قدرت أن نسبة نجاحه كبيرة. فأي العملين ستختار؟

****

أيهما أفضل للكاتب: 1- النظر في المواضيع التي كتبها سابقا ومحاولة تنقيحها وإنضاجها أكثر والتعمق فيها، أم 2- الكتابة في مواضيع جديدة؟ الذي أراه الآن هو أنه من الأفضل له أن يصرف ثلاثة أرباع وقته ل(1) وربع وقته فقط ل(2). والسبب في ذلك هو أنه كلما تعمق المرء أكثر وأكثر في موضوع معين كلما كانت الاكتشافات الفكرية التي تظهر له أكبر وأكبر فتكون فائدتها كبيرة. أما لو قضى حياته في التنقل من موضوع لآخر فإنه سينتج له في النهاية اكتشافات فكرية كثيرة ولكنها صغيرة فتكون فائدتها أقل.

****

تم الكتاب بحمد الله